أدب الناقد

مَقالات في مَقامات

تأليف الدكتور: منصف دقاشي

عنوان الكتاب

أدب الناقد

مَقالات في مَقامات

تأليف
الدكتور منصف دقاشي

ISBN :
978-9969-608-75-5

الإيداع القانوني
ديسمبر 2025

الطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إهداء

إلى روح والدي الطاهرة عند ربها

إلى أمّي التي غمرتني بحنانها

إلى زهرة البيت التي أعطتني رحيقها

.

إلى الصادقين الذين ألهمتني كتاباتهم

إلى من سكنوا قلبي .. جميعا

أهدي منافحاتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله على نعمة الإسلام والايمان والصلاة والسلام على النبي العدنان ﷺ الذي خاطبه ربه في أول بيان فقـــال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ العلق

وهو بهذا الخطاب يرشدنا إلى أنّ القراءة والكتابة (وأداتها القلم) من أعظم ما ميَّز الله به الانسان عن غيره من المخلوقات، ويأمرنا أن ننطلق في سحب البشرية من الظلمات والجهل إلى أنوار المعرفة والعلم. ومقالاتي تنفيذا للأمر.

يأتي هذا الكتاب مسجلا مرحلة من تاريخ الكتابة الأسبوعية في جريدة الجديد اليومي من سنة 2014 بعد الانتهاء من كتابة رسالة الماجستير إلى غاية 2018 لأنقطع بسبب ضيق الوقت، وبغرض التفرغ لاستكمال كتابة أطروحة الدكتوراه.

كانت كتابة المقال الأسبوعي تتطلب جهدا يبذل في القراءة أو الاطلاع على العديد من الكتب في الموضوع الذي أحرّره. وكانت القراءة في ذاتها فرصة للاطلاع على العديد من العناوين والمؤلفين في مجالات مختلفة؛ أدبية ودينية وثقافية وسياسية، مما أكسبني ثقافة أوسع في طرق وكيفيات كتابة المقالات الصحفية المتخصصة.وقد كان تخصصي في النقد الأدبي المعاصر عاملا آخر مهما في اختيار الموضوعات ووضع العناوين باعتبارها نصّا مكثفا.ومدخلا مهما يخطف بصر القارئ.قبل فكره.

إنّ تجربة الكتابة بالنسبة لي لم تكن ترفيها بل مساهمة في رفع الذوق الأدبي من خلال جعل المقال في شكل مقام، ولهذا عنونتُ هذا الكتاب بـــ: **مقالات في مقامات**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتكتسي المقالات المكتوبة ثوب المقامات المدبجة بالسجع والجناس، التورية والطباق، التضمين والاقتباس، مرة بالأسلوبي وأخرى بالأسلوب الانشائي، مع وضع الايجاز والاطناب كل في مكانه حسب ما يقتضيه الحال والمقال.

يحوي هذا الكتاب أزيد من ثلاثين مقالا، واحتفظت بمقالات أخرى، أنشرها لاحقا بإذن الله. والمهم أن أذكرَ أنّ أوّل مقال كتبته ونُشر لي هو "أبو حامد–أبو القاسم .. رحلة العلم والتميّز". وأذكر جيّدا كم من العَبَرات التي غلبتني وساحت على خدّيْيَ ثم ارتمتْ على الورقة، وكأنها تبكي أبا القاسم سعد الله، وهي كذلك فعلا، وفي صورة قد تبدو مناقضة هي دمعات فرح بإنجاز أوّل مقال صحفي بعد تخصصي.

قد يجد القارئ بعض الزلات والهنات؛ وهي طبيعية البدايات ولا تخلو منها النهايات، وعنها أستسمح القارئ الكريم، آملا أن يجد القارئ ما يمتعه ويثقفه. والله من وراء القصد.

الدكتور منصف بن العربي دقاشي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبو حامد-أبو القاسم .. رحلة العلم والتميّز

في رحلة البحث العلمية تقرأ وتسمع عن كثير من القامات في مجالات شتّى (أدبية وتاريخية ودينية وسياسية وعسكرية ...). ومن القامات التي سمعتُ عنها ولم أتعرف عليها عن كثب البروفسور أبو القاسم سعد الله، حتّى انتهى إلى مسمعي خبر منيته في 14 من شهر ديسمبر 2013. شعرتُ حينها بألم وتوبيخ داخلي وعتاب عن عدم السعي للسماع منه مباشرة أو الاطلاع على ما كتب؛ وكان تبريري باهتا: "ليس مجاله مجال تخصصي". وازداد ألمي خاصة بعد قراءتي للعديد من الشهادات والتي كان من بينها مقال نشره الدكتور الهادي الحسني بعنوان "بيت الأردن" في جريدة الشروق اليومي.

انطلاقا من مسيرة بحثي الأكاديمي، فقد استوقفتني تلك الجهود التي بُذِلَتْ والمشاق التي لقيها العلماء، ومن بينهم صاحب الإحياء الشيخ الإمام محمد بن محمد بن أحمد الطوسي المعروف بـ: "أبو حامد الغزّالي" في تلك الرحلة الطويلة في طلب العلم وتعليمه، فمن طوس خراسان أين وُلد عام450هـ ونما فيها فتًى فقيرًا يُعِين والده في غزل الصوف، ولأنّ حُلُمَهُ بقضم العلم كان كبيرا فقد ارتحل بكلّ عزم في طلب العلم إلى العديد من الحواضر، كان أولها نيسابور(473هـ) أين انكبّ على دراسة الفقه والأصول والمنطق والكلام، ولازم الجويني إمام الحرمين ونهل من علمه، ثمّ شدَّ الرحال إلى "العسكر"، حيث وَجد مَن حوله من العلماء قد تعلقوا بالحياة الوديعة الخافتة، ولاحظ اقتناعهم "بِميِّت الكتب" وأجوف الألفاظ، فملأ وقته بالمطالعة والبحث حتّى برع في المذهب والخلاف والجدل والفلسفة وتشبّع بالفكر الإسلامي. وسافر بعدها إلى بغداد أين قرأ كتب "ابن سينا" وذاع صيته، وانتقل إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دمشق. رحلة نُجْمِلها في الخط الجغرافي الآتي: من طوس إلى جرجان، إلى طوس (ثانية)، إلى نيسابور، إلى العسكر، إلى بغداد، إلى دمشق، إلى بيت المقدس والخليل، إلى الحجاز، إلى مصر والإسكندرية، إلى دمشق (ثانية)، إلى بغداد (ثانية)، إلى طوس (ثالثة)، إلى نيسابور (ثانية)، إلى طوس (رابعة) التي فيها تُوفي ودُفن عام 505هـ، رحلات صنّف فيها العديد من الكتب، أشهرها "احياء علوم الدين" و"المستصفى في علم الأصول"، وجعلته أبو حامد الغزّالي الفقيه الشافعي الصوفي المرشد الديني والمعلم الاجتماعي، وعلمٌ من أعلام الإسلام، بل من أعلام الفكر الإنساني. وتجدر الملاحظة أن ليس بالضرورة أنْ نقتنع بكلّ ما كتبَ أو كُتبَ عنه، ولكن هي حقيقة الرحلة المضنية في طلب العلم.

نرجع لنقول في هذه الأجواء اطلعتُ وقرأتُ شيئا ممّا قيل عن الدكتور أبو القاسم سعد الله من طرف زملائه وتلامذته وبعض المرافقين له، ومنها أحد النّدوات التي كانت سردا لرحلة كفاح الرجل. كانت بدايتها حين خرج إلى الدنيا من بين الرمال وصوّان الفاقة والحرمان عام 1930م بمدينة قمار، ليحيط به معطف العلم (الشيخ الطاهر التليلي وغيره من علماء المنطقة)، فحفظ القرآن وأمَّ النّاس في التراويح وعمره 11 سنة. وفي لحظة فارقة، تلمّس مَن حوله فيه الذكاء والفطنة بما فيها الأم التي التقت رغبتها مع رغبة أهل العلم وخاصة الشيخ تليلي في دفع الفتى "سعد الله" إلى طلب العلم. فحالفه توفيق الله في رحلة إلى جامع الزيتونة بتونس عام 1947م، رحلة دامت سبع سنوات لقي فيها من الصعوبات ما لقي، كادت تُثنيه عن الاستمرار لولا لطف الله وعنايته ثمّ عزمات الفتى ورغبته. فسخّر الله له مَن يعينه ماديا من أهل البرّ والاحسان، فكان نزيل المسجد يستيقظ مع آذان الفجر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلبس مما يلبس قيّم المسجد. فاعتكف على طلب العلم وقلّما عاد لبلدته وزار والديه لمشقة السفر وتكاليفه. انتقل بعدها إلى مصر عام 1954هـ أين التقى الشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين وجالسه واستمع منه، ونهل من أساتذة الأدب بجامعة القاهرة، فزاد قرْضُهُ للشعر وكتَبَ المقالات التي نُشرت على صفحات جريدة "البصائر"، ليتوج بشهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية.

وقف بعدها في مفترق طرق بين مواصلة مشواره العلمي الأكاديمي والرجوع إلى البلدة، فانتقل إلى الجزائر العاصمة عام 1958 ودرّس فيها مدّة سنة جمع شيئا من المال ليستعين به في مواصلة مسيرة رحلته العلمية. انتقل عام 1960م إلى الولايات المتحّدة الأمريكية، أين تخصّص في التاريخ وتعلّم اللغة الإنجليزية وتحصّل على الدكتوراه عام 1965 ودرّس بإحدى جامعاتها عامين .. لكن حبّ الوطن ونداء الضمير الحي والرغبة في تقديم المتحصّل عليه من العلم، جعله يعود عام 1957 وينتسب إلى جامعة الجزائر، ليبدأ منها رحلة كفاح أخرى بذل فيه جهدا كبيرا ومعاناة، ولم أتصور معاناته حقّ التصور حتّى قرأتُ أنّه سافر إلى الأردن محاضرا بجامعاتها كي يستطيع أنْ يدّخر شيئا من المال ويبني به بيته وهو في العِقد السابع من عمره، وهو رافض لتولّي أيّ منْصب أو مسؤولية لو تقلّدها لعاش موفورا وشيّد دورًا وقصورًا. لله درّك يا سعد!!!

هؤلاء هم الرجال الذين يجب أن يكونوا للأجيال نماذجًا تُحتذى وآثارًا تُقتفى، نقرأ سِيَرَهم في معركة التحدّي في سبيل الوصول إلى الأهداف الكبيرة، والتميّز الايجابي الفعّال، وهم يسلكون طريق العلم والمعرفة. ونقرأ لهم ما كتبوا من عصارة أفكارهم، التي كابدوا عنها في الطرقات وسافروا لأجلها سنوات، وسهروا في تدوينها ليالي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاتمات، كي ينيروا دروب مجتمعاتهم، ويتركوا لهم بصمات .. بصمات طريق مَن عرف ذاته وتمسّك بهُويته ونصح لأمتّه فقام يخدمها ليرفعها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن باديس بين العلم والعيد

تُطلّ علينا كلّ سنة في السادس عشر من شهر أفريل ذكرى وفاة العلامة الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس عليه رحمة الله وطيّب ثراه سنة 1940م. ذكرى سُمّيت عيدًا، ولم تأخذ من العيد إلاّ اسمَهُ، وأُضيف للعيد "العلم"؛ علماً يُعربُ مضافا إليه مجرورًا .. نَعَم لقد أصبح وأمسى وبات وأضحى العلم في دُنيانا - نحن عرب اليوم - مجرورًا غير مكرورٍ كما تُكرّر لفظة "العيد" على مدار السنة.. وأتساءلُ: لو نطق العلم، هل يرضى أن يكون مجرورًا؟ أو أنْ يكون له يوما يتيمًا فيه محجورًا؟

وقفتُ وجلستُ ثمّ قعدتُ أتأمل هذا العيد، فعَبَر في ذهني قول الشاعر:

عيدٌ بأيّ حالٍ عُدْتَ يا عيد بما مَضَى أم بأمرٍ فيك تجديد

فقد اعتادَ النّاس في الأعياد أنْ يُحتفى ويُحتفلَ فيها باللقاءات والاجتماعات، والجديد من الثياب والعِطْريات، ويُتبادل فيها - ولو تَزلفاً ونفاقًا - الهدايا والابتسامات. يلتقي فيها الرسميون والبسطاء، ويفرح فيه المتعلمون والدَّهْماء، كلّهم سواء .. لا لأنّهم يفهمون العيد ويَعُون مراميه، ولكن لأنّه عيد وهذه المظاهر تكفيه .. والعيد بهذه الصورة ابن باديس لا يبغيه.

أمّا العلمُ الشامخ، فلا يفرّ من أحد، الغني والفقير، المسافر والمقيم، في الليل أو النهار، في الجبال أو القفار .. مَن قَصَده بتواضع طالبًا إياه، أجابه على الفور، وأثنى له رُكْبَتيْه، وبسط له كفَّيْه، وفتح له بحاره الزاخرة، وقال: اغرف منها ما تشاء، وحَوِّل إنْ شئت كلّ الأشجار أقلاما، فلنْ أنفد، وإنْ نفد ما في الأرْض فسيبقى ما في السماء.. ولن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتدم أبدا، فعندي صلاح الدين والدنيا معًا .. وهذا ما ابن باديس يبغي، وله عمِلَ ودعا.

أستاذنا الهادي الحسني أستسمحك في نقل ما كتبه شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله ـ رحمه الله ـ حين اسْتَكْتَبْتَهُ عن ابن باديس، فردّ: «أرجوك أن تترك الرجل وشأنه الآن... وإن الأمة التي تأكل أبناءها غير جديرة بأن تكتب عن ابن باديس حتى تتوب توبة نصوحا، وسيأتي اليوم الذي يخرج فيه ابن باديس من القبر كالمهدي المنتظر ليقول كلمته في الانحراف الذي تعرفه الأمة، وقد يرفع فأسه ويهوي به على الجذوع النخرة».

وأستسمحك سعد الله في ألاّ أدع الرجل وشأنه، وأصارحك أنني ابن هذه الأمة ولكنّي تبتُ توبة نصوحا. اسمح لي أنْ أنادي ابن باديس: يا إمام، أخرج من قبرك، عندي أسئلة كثيرة أودّ أنْ أطرحها عليك:

كم سنة وشهرا ويوما وساعة أمضيتَ في إكساب العِلم؟ كم كتابا قرأتَ وأنتَ تنهل العِلم؟ كم من المسافات قطعتَ في طلب العِلم؟ كم مجلسا عقدته لتدريس العِلم؟ كم خرّجتَ من رَجُلِ عِلم؟ كم مقال ورسالة كتبتَ في سبيل توصيل رسالة العِلم؟

ليتك تستطيع الإجابة فتعْلَمَ الأجيال .. ولكن..

ولو لمْ يكن ذلك كلّه، لكفاك أنْ صنعتَ جيلاً يحبُّ الجزائر الحرّة ويكره فرنسا الاحتلال، يحبّ اللسان العربي ويكره فِرَنْسِيةُ الإذلال، ارتضى الإسلام دينا وبه لا يزال .. جيلاً حرّر البلاد والعباد، وهَتَف نشيدك مِن بعدِك:

شعب الجـزائر مسـلم وإلى العروبة ينتسب
مَنْ قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا إمام، لن أقول فيك ما قاله محمد العيد آل خليفة:

عبد الحميد رعاك الله من بطل
ماضي الشكيمة لا يلويك تهويل

فلم أقرأ عن بطولتك، ولا مضاء شكيمتك، ولكن أقول:

عبد الحميد يرحمُكَ الله من مُصْلحٍ

تشهدُ عليك مجالس التذكير
تاليًا، مفسّرًا كلام الحكيم الخبير
شارحا كلام البشير النذير

سيدي الإمام آسفٌ أنْ أُعْلِمَك أنّك في دنيانا مغمور، وعِلْمك فينا غير منثور، وفي جنبات جيل كامل غير محفور، لا تُذكر إلاّ في يومٍ نَسَبُوه لك عيدا .. لا تَلُمْ فقد غطّتْ سمانا غَيْمَةٍ فرنكفونية قاتمة، منذُ انزواء الكولون بعيدا .. ولا تنتظر منّي أنْ أدعو لإقامة تمثال لك كما أُقيم لابن خلدون، فقد أعياه كِتابه وهو مفتوح بين يديه طوال السنين، ولم يفهمه أحد ولو نطق ما سمعتَ له سوى أنين .. لكن سيدي، أعِدُكَ أنْ أبذل كلّ ما أوتيتُ من جُهدٍ، وأنادي بكلّ صوتي لجعل العلم فاعلاً مرفوعًا، وقائداً متبوعًا، وصوتًا مسموعًا، وحامله مشفوعًا، على مدار الأيّام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشيخ محمّد الغزالي في ذكراه

الرجال العظماء يخلّدون بمواقفهم وبأعمالهم وإنجازاتهم، وتميّزهم عن غيرهم سواء في ميادين الفكر والعلم أو الحروب والقتال، أو البناء والتشييد، أو الكياسة في السياسة والحكم، وغيرها من مجالات الحياة. والأمم الحيّة تذكر مَنْ نبغ فيهم وتنحتُ لهم التماثيل وتدرّس أمجادهم للأجيال .. أمّا الأمّة الميّتة فلا تذكر منهم أحدا.

في التاسع من شهر مارس عام 1996 غادر الدنيا الشيخ الجليل والعالم الربّاني والدّاعية المحنّك الشيخ محمّد الغزالي عن عمر يناهز 78 سنة. عقود أمضى أولها في طلب العلم، وشطر من شبابه وراء قضبان الظالمين، وباقي حياته أمضاها يطوف أصقاع المعمورة مبلغا دين الله، نافيا عنه خَبث سنوات الجمود وغبار جهالة عقود، ونافخا في روحه أوكسجين الحياة في وسطية واعتدال.

غادر الشيخ أمّته وهي في أمسّ الحاجة إليه وإلى أمثاله، فالمؤامرات الغربية ضد الإسلام والمسلمين ومحاربة اليقظة الإسلامية بدأت تأخذ منحى خطير بعد انكسار الاتحاد السوفياتي (الالحادي الشيوعي)، وظهور وحيد القرن (القطب الرأسمالي اللبرالي المتوحش) بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية (خادمة الصهيونية العالمية)، ومذابح سربرينتشا الفظيعة في البوسنة والهرسك سنوات 1993-1995 شاهدة على ذلك، ومن قبله استهداف العراق ومحاصرته بمباركة ومعاونة بعض الأنظمة العربية بغرض تجهيله وتفقيره، ومن ثَمّ تمزيقه وتفتيته، وهو ما حصل بالفعل. والهدف الأساس من وراء هذا كلّه ضرب التوجه الصحيح والصادق للإسلام العائد ليتربع على حياة النّاس، ويعيد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قولة ربعي بن عامر لملك الفرس: "ابتعثنا الله لنخرج مَن شاء من العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

كانت آراء الشيخ تصب في وجوب الابتعاد عن سذاجة التفكير و سطحية التحليل وتقليب الأمور والأحداث. وكان كثيرا ما يدعو ويؤكدّ على ضرورة عدم تغييب الإسلام عن مناهج الحياة، كما يجب إحياء فريضة النظر وإعمال الفكر والعقل في علوم الشريعة والدين، والاجتهاد في قضايا المسلمين وفق رؤية متجددّة، وهو العالِم بخبايا الفقر الفكري والهزال العلمي والعملي حتّى في أوساط المتدينين والاسلاميين الذين يطمحون في بناء دولة الإسلام كما يتصورونها لا كما يجب أنْ تكون.

كان الشيخ يرى أنّ ما آل إليه حال الأمّة الإسلامية من تخلف على جميع المستويات والأصعدة، ما هو إلاّ نتيجة حتمية وسنة كونية لجمود العقل المسلم وانحرافه، وذهابه إلى الأيسر والأسهل في مواطن الأعسر والأصعب، وإلى الرخصة في مواطن العزيمة، وإلى إخراس الألسنة في أوقات الصدح بالحق، وإلى الخوف من الباطل والركون إليه بدل التسلح بالحق والاستقواء به.

كان يرى أنّ المسلم الحق هو ذاك الذي يطلب رضى ربّ العالمين وهو يحمل أعباء الدعوة الإسلامية. وعلّمته الأيّام – كما يقول - ألاّ يوزّع محابه هنا وهناك فإنّه لن يظفر بشيء، بل كان لا يهمه عدم رضى البعض الجاهل عنه.

ولا زلتُ أحتفظ بصورته في مخيلتي وأنا أجلسُ بالقرب منه على متن الطائرة في أول وآخر زيارة له لمدينة الوادي انطلاقا من مطار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنابة سنة 1986 لحضور ملتقى أكفادو بالدبيلة، أذكر تلك الملامح والعيون التي تبرق وتطيش ذات اليمين وذات الشمال، نظرات ألم وحزن على حال المسلمين ومآلهم والأمم تتداعى عليهم، وفي آن واحد نظرات يقين بأنّ مَنْ نصرَ عباده وهم أذلة بالأمس، حتما سينصرهم في الغد حين يكتمل الوعي وتذوب القلوب في الله، والأعمال في سبيل الله.

ليس المقامُ مقامَ حديثٍ عن عشرات الكتب التي ألّفها وصنّفها، يشخصّ فيها أمراض الأمة ومكامن الخلل، ويصف لها علاجات وحلولا بآراء صريحة، لا مجاملة فيها لأيّ كان، فالأمّة بحاجة إلى مَنْ يَصْدُقُ لا مَنْ يُصدّق فقط، ناوأه بسببها الكثير من ضعاف النظر والبصيرة وقليلي الزاد العلمي والمعرفي وتطاولوا عليه، ولكن هيهات أنْ يناطح الجبل الأشم أقزام، أو أنْ يشرب البحر الزاخر أقلام. ويكفي أنْ نشير إلى آخر ما ألّف من الكتب؛ كتاب "كيف نتعامل من القرآن"، الذي حاول من خلال رؤية منطلقة من القرآن الكريم - وهو يعتبر تدبّره عاصما من السقوط الحضاري - الوصول إلى منهجيةٍ لبعث الشهود الحضاري، ومن ثَمَّ الإمكان الحضاري.

أعترف بأنّني لستُ من تلاميذ الشيخ المباشرين، ولكنْ أحملُ رؤية اكتسبتها منْ خلال ما قرأتُ من مؤلفاته وسمعتُه من دروسه ومحاضراته. أعلم أنّه وإلى الآن ما زال قلة يذكرونه ومنهم من يبغضونه، ولكن كُثُر يحبونه وإنْ كان أغلبهم لا يفهمونه. ليكنْ، فقد تعلّمتُ من الرجل العظيم أنْ أسلك سبيل الحق والنّور وألاّ ألتفتَ إلى أبواق سرعان ما تخفتُ بخفوت أصواتِ ناعقيها في محيط الجهالة والباطل والديجور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القراءة .. القراءة !!

لقد كان العرب قبل الإسلام قبائل أميّة، لا عهد لها بالقراءة والكتابة -إلاّ القليل منهم- يعتمدون في النقل على المشافهة والسماع، فكان الشِعر ديوانهم وحامل أفكارهم والدّال على أحوالهم، فجاء القرآن الكريم وفتح أعينهم على نقطة غاية في الأهمية للتطور الإنساني، فكانت كلمة "اقرأ" أوّل ما أُنزِل على قلب النبي محمد ﷺ .. وكان بالقراءة التحوّل العربي من الأميّة إلى الأمّة، ومن الجَهالة إلى الجهابذة، فتغيّر وجه البسيطة، واستنارتْ بنور الوحي فيافي وقوافي الغيّ، وتحرّر العقل من عبوديته للهوى والحجارة، وصحَا فدَقّق ما يغيّبهُ في كلّ دار وخمّارة .. لتشهد البشرية كلّها انطلاقة القيم الإنسانية الحقّة، بالقراءة العالية الدقّة.

وبعد أنْ كان العربي يفتخر بالفرس والناقة والصيد والساقة، أضاف لها القلم والقراطيس، واعتبر الكتاب خير أنيس، فهذا المتنبي يقول:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ
وَخَيرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ
نِعْم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأصحاب
لا مفشياً سراً إذا استودعته
وتُفاد منه حكمـــة وصواب

وهذا الجاحظ يقدّرُ العقل بالقراءة، فيقول: "مـا رأيتُ أحداً وفي يده دفتر، وصاحبه فارغ اليدّ، إلا اعتقدتُ أنّه أعقل وأفضل من صاحبه"،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشاطبي يعتبر "الكتاب معلّم صامت"، لما يقدّمه من معارف تتمّي الإنسان وتصقل مواهبه الثقافية.

وحينما نامت الأمّة الإسلامية عن القراءة، قلّ فِعالها، وتدنّى مَقَامُها، وتقطّعت أوصالها .. وبالمقابل استيقظت أمّة أفلاطون وطاليس على وقع الانبهار بما كان في الأندلس من زخارف ومعارف، وما في بيت الحكمة ببغداد من مشارف، فأخذت تتبّع أدوات النهوض، واكتشفت أهمية ودور القراءة في إحداث الصعود نحو القمّة، وطرق السيطرة على العالم والأمّة.

ونريد اليوم لفتَ الانتباه إلى القراءة من خلال ما كتبه الأمريكي "مورتيمر آدلر" في كتابه "كيف تقرأ كتابا"، فرغم ما وصلت إليه الولايات المتحدة الأمريكية من تقدّم وتطور علمي في القرن العشرين، فقد أعلن المسئولون فيها أنّ عقد السبعينيات سيكون عقد "القراءة" .. واستثمرت الجهود التي تبذلها لتعليم كلّ مواطنيها، والذي يعني على الأقل أنْ تجعلَ هؤلاء المواطنين مُلمّين بقواعد القراءة والكتابة. هذا الجُهد الذي دعّمته أمريكا منذ بداية وجودها القومي تقريبا، النقطة الأولى التي لفتت انتباهي فيه اعتبار القراءة والكتابة "حجر الأساس في طريقة حياتنا الديمقراطية"، فلا معنى للاختيار الحرّ في وسط جاهل لا يَعرف المواطن فيها حتّى قراءة القصاصات واللافتات ناهيك عن المبادرات والاجتهادات الفاعلة والصادقة لجلب الخيرات ودفع المُلمّات، وكانت لهذه الجهود نتائج ملموسة؛ فقد تمّ محو الأميّة بشكل كامل تقريبا في الولايات المتحدة الأمريكية، وقبل أيّ دولة، ويؤكّد أنّ "هذا أيضا ساعدنا في أنْ نصبح المجتمع الصناعي العالي التقدّم الذي نحن عليه الآن".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنقطة الثانية اللافتة للانتباه حين كتب: "إنّ الشاب أو الشابة الذي لا يستطيع أنْ يقرأ بشكل جيّد يتخلف عن تحقيق الحلم الأمريكي"، وهو دعوة إلى فعل انجازي متميّز إذْ المعنى المقصود: على كلّ مواطن وخاصة عِمادها؛ أي فئة الشباب، أنْ يقرأ ويقرأ قراءة المتفحص، وإلا فإنّه ستفوته فرصة تحقيق أحلام اليوم التي هي حقائق الغد الأمريكي الأفضل.

ويتوجّه إلى فئة الأصل أنّها قاعدة وأساس صناعة المجتمع ومحققة الحلم، فئة الطلاّب والأساتذة، فيقول "مورتيمر": " يجب أنْ ندرك أيضا – طُلاّبًا وأساتذة وغيرهم – أنّنا حتّى عندما نُنْجز الهدف الذي وضعناه نصب أعيننا فلن نكون قد وصلنا إلى غايتنا" فالقراءة هدفا مرحليا في طريق طويل وليست غاية في حدّ ذاتها، ويُتْبع تلك الجملة بعبارة: "يجب أنْ نكون أمّة قرّاء أكْفَّاء، ونعلم ماذا ترمي إليه كلمة أكْفَّاء من معنى" والفعل الإنجازي المتضمن: إقرأ، وكنْ قارئا كُفْئا!!!

إنّ مشروع محو الأميّة الذي حققته الولايات المتحدة الأمريكية، لم يُقنع مفكريها بأنّهم وصلوا إلى الهدف، ولم يُشبع رغبة ساستها في السير والتقدم، بل أعطاهم شحنة إضافية، وطاقة جديدة، وحيوية أكثر، وعزيمة أقوى، كي يصلوا إلى أنْ يصبح كلّ قارئ أمريكي "قارئًا كُفئًا"؛ واعيًا بمتطلبات مجتمعه وساعيًا لخدمة أمّته، ويُنهي الكاتب عبارته بقوله: "ولا شيء أقلّ من ذلك يرضي احتياجاتنا".

هلْ عرفنا لماذا تأخرنا وتقدّم غيرنا؟؟ إنّنا أضعنا المفتاح السحري الذي يفتح كلّ باب، ويصنع أولو الألباب، وينقلنا إلى ما وراء السحاب .. إنّه القراءة .. القراءة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مملكة النمل .. والكذب

ذكر ابن القيم رحمه الله قصة حدثت لنملة عوقبت بسبب اتهام وجّه لها بالكذب: «... ولقد حدثني أن نملة خرجت من بيتها فصادفت شق جرادة فحاوَلَتْ أن تحمله فلم تُطِق فذهبت وجاءت معها بأعوان يحملنه معها قال فَرَفَعْتُ ذلك من الأرض فطافت في مكانه فلم تجده فانصرفوا وتركوها قال فَوَضَعْتُهُ فعادت تحاول حمله فلم تقدر فذهبت وجاءت بهم فَرَفَعْتُهُ فطافت فلم تجده فانصرفوا قال فعلتُ ذلك مرارا فلما كان في المرة الأخرى استدار النمل حلقة ووضعوها في وسطها وقطعوها عضوا عضوا قال شيخنا وقد حكيت له هذه الحكاية فقال هذه النمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب والنمل من أحرص الحيوان ويضرب بحرصه المثل». قصة حقيقية ذات أبعاد قِيَميّة.

تذكّرتُ قصة عالم النمل هذه وأنا أسمع عن ما يُسمّى "كذبة أفريل" (Poisson d'Avril)، التي تعوّدتْ العديد من الشعوب الاهتمام بها. **"كذبة أبريل"** تقليد أوربي مختلف في مصدره بين؛ ذبح للمسلمين في الأندلس حين طُلب منهم الخروج إلى البحر كي ينجو بأنفسهم وهناك ذبحوا عن بكرة أبيهم ورموا في البحر للأسماك، وتقويم شارل التاسع عام 1564 الذي يبدأ باحتفالات يوم 12 مارس وتنتهي يوم 01 أفريل، وعيد هولي الذي يحتفل به الهندوس في الهند، وغيرها من الأحجيات. بغض النظر عن كلّ هذا، فالكذبة مهما قيل عنها وزيّنوها وبرروا لها، تبقى كذبة .. قلتُ - في عجب - كيف ترتضي مجموعات وشعوب، الأصل فيها الانتماء للقيم الإنسانية، أنْ تمرر هكذا مزحة ولعبة في حين ترفضها القيم الحيوانية – إن صح التعبير – وترفض تبريرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي ديننا الحنيف تشديد في النهي عن الكذب، فالله تعالى فى سورة غافر قال:" إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب"، والنبي ﷺ نهى عنه ولو بدافع الفسحة والطرفة والفُرجة كما هو حال "كذبة أفريل". فقد جاء قوله ﷺ: « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ النَّاسَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ».، وفي حديث آخر اعتبر الكذب خصلة من خصال النفاق فقال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». ورغب الرسول ﷺ في اجتناب الكذب والابتعاد عنه ولو كان المقصد منه المزاح، فقال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ يَتْرُكِ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ». هذا هو الإرشاد السليم والتوجيه الصحيح.

وإذا كان لا بدّ من الكذب فليس لإرهاق الناس وخلق متاعب لهم، أو لزرع الشك والريب وتبادل الاتهامات بينهم. وكم من مآسي وقعت بسبب "كذبة أفريل" -والحقيقة "كذبة الناس في أفريل" - وإنّما يُباح بضوابط وبهدف الصالح العام. وقد جاء في كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزّالى، عن أم كلثوم أنها قالت: «ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلاّ في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها». وفى حديث آخر جمع النبي كل المواقف التي يحل فيها الكذب فقال: «كل الكذب يُكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته فيرضيها». أمّا ماعدا ذلك فهو الفساد والهلاك.

الكذب مهلكة، يباعد بين القلوب ويشتت ويبعثر الجهود، لِما يترتب عنه من هدم للثقة التي تربط بين أفراد المجتمع، ومن ثمّ انفراط روابط عقده. فالمجتمع السليم يحرص كلّ الحرص على تعميق المحبّة والألفة ويعمل على الابتعاد عن كلّ ما من شأنه أنْ يضْعف مركّباته أو يكدّر صفوه. وأعتقد أنّ الكذب من أكبر العوامل المدمّرة للثقة.

بحث وناقش علماء الاجتماع والساسة والأحزاب وشرائح المجتمع المدني عن سبب الهوّة والشرخ الموجود في الأمة العربية خصوصا والإسلامية عموما والدول التي تحكمها (وما أريكم إلاّ ما أرى) بصفة أعم، بين مختلف الهيئات الرسمية والشعبية من القمة إلى القاعدة. ووصل الجميع إلى شبه إجماع إلى أنّ سبب الهوّة هو انعدام الثقة، الناتج عن الوعود الكاذبة التي ملّها الجميع، وغذّت السلبية حتى غدت أثرا واضحا على جميع الصُعد. ليصبح الكذب المتعمّد والمتكرر ملازما للسلوكات في كثير من التعاملات في الحياة العامة (التجارية والإدارية) والخاصة (الأسرية). وقد توّلد عنه تبلد في الفكر وغورة في الصدر، نتلمس نتائجها في كلّ مكان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كي- ري .. (qui ri)

في دنيا العلاقات والصداقات تظهر كثيرا من البلاهة والحماقات تؤتي أكلها بمهلكات مدمرات .. حدثنا نبي الرحمة الصادق الأمين ﷺ أنّ المجالس ليست كلّها من الباقيات الصالحات فقال: **«إنّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصّالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسكِ وَنافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلِ المِسكِ إمّا أن يُحذِيكَ، وَإمّا أن تَبتَاعَ مِنهُ، وَإمّا أن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا طَيّبةً، وَنافِخِ الكِيرِ إمّا أن يَحرِقَ ثِيَابَكَ، وَإمّا أن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا خَبِيثَةً»**.

بحثتُ عن الكير في لغة العرب، فوجدته جهازا من جلد أو نحوه يستخدمه الحدّاد وغيره للنفخ في النار لإذكائها، والحدّاد هو مستخدم الكير، فاسم الفاعل هنا هو "الكيري". وذهبتُ لعلّيَ أجدُ "كيري" في السوق الشعبي، طفتُ حتّى دُختُ ولم أجد له أثرًا، سألتُ أحد العجائز: هل يوجد "كيري" هنا؟ فردّ بتنهيدة: لا تبحث عنه يا ولدي هنا، لقد أفل نجمُه، ولم يبق إلاّ طيفه .. اذهب وابحث عن حَرْقَة (الحراقة).

وحين ابتعدتُ قابلتني بقرة صفراء!!! واعجبا !!! لافاش "كي-ري" هنا ... (la vache qui rie .. jaune)، طبعا الكلُّ يعرفها؛ البقرة الضاحكة ذات القرنين الشيطانيين، حتّى الصغار يعرفونها، ابتسامتها لا تغادر محيّاها، وهي سرّ التعلق بها، مع نضارة سحنتها وبشرتها. ولو طُلب منّي ذبحها، بأبنائي جميعا افتديتها.

تذكّرتُ قصّةً تعود إلى عشرات السنين في بلاد الفرنجة الغابرين والحاضرين .. حين كانت قُطْعان من الذئاب المسعورة والثعالب الماكرة تجوب الفيافي والوهاد والأنهار والوديان وتقطع السهول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتصعد الجبال، في تحدّ لكلّ مخلوق يقف في طريقها، القوي منه والضعيف. تحكي القصة أنّ من بين تلك السلالات سلالة متجبّرة متغطرسة لا يُردُّ لها طلب ولو تجاوز الحدّ، من وليد أو جدٌّ .. برز من بينها ثعلبا داهية تعلوا ضحكاته مُحيّاه، مَن عرفه وخَبِره يخافه ويسلّم عليه، يجلس بين ناظريه، ويعطيه كلّ ما ملكت يديه. أمّا مَن جَهله وخانته فراسته، اطمئنَّ إليه، وشراكهُ ضَحِكَاته، وانبسط في جلساته، وغابت عنه حكمة الشاعر العربي قديما:

إذا رأيتَ أنياب الليث بارزة فلا تظنّنّ أنّ الليث يبتسم

والعجيب أنّ قهقهاته تعلوا باستمرار، وسمعه كلّ أهل الديار .. لدرجة أنْ لُقّب بـ: "كي- ري"، ولكثرة تداوله على الألسن – كما يقول لسان العرب – أصبح اسمه "كيري".

"كيري" كآبائه وأجداده، لا تنقصه الحيلة ولا يُعْدم الوسيلة، في تأليب كلّ أُمَّةٍ على نفسها (يأكل بعضها البعض)؛ بالإغراء والكلام المعسول حينا وبالتشكيك وزرع القنابل وإشعال الفتائل أحايين .. والغريب أنّه وفي كلّ مرّة يجد بين تلك الأمم عناصر من ضعاف العزيمة، وقليلي التدبير والحيلة، مَنْ يساعده في إهلاك الحرث والنسل والغيلة.

الثعلب "كيري" كان كآبائه وأجداده، يخطّط لاصطياد فريسته جيّدا .. يتحيّن الفرص .. ينصبُ الفخاخ .. ويأخذ من أعدائه لجماعته بيمينه أضعاف ما يعطيهم بشماله .. وهو يُضْحك ويَضْحك عليهم .. وما إنْ يُنْهي مصالحه ويستكمل رغباته، حتّى تنقلب نَظَرَاته ويتطاير لُعَابُه وتقوى زَفَرَاتُه .. وعلى التوِّ يغرز في البدن مخالبه، وتستلم الرقاب فكّاه ونواجذه .. يثخن الجراح، ويُعمل الأنياب تقطيعا وتمزيقا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولأنّ دوام الحال من المحال، بدا على "كي- ري" وحاشيته وأُمّته بعض الأمراض وشيء من الإعياء، وانتشرت فيهم الفاحشة وكَثُر التعساء .. وغدا تهرُّبُ الأبناء وتَضَجُّر الآباء من دفع الفواتير وإشعال الحرائق وغلق المواسير، حديث المجامع صباح مساء .. الحدث المثير أنّ الكثير من الأمم الضعيفة التي كانت تهابه استطاعت بلْع السمّ الزؤام وقرّرت ألا تترك مصيرها للذئاب أو لضاربي الأزلام، وانتفضت من بين الركام تاركة خلفها الأقزام، واشرأبّت أعناقها إلى الأمام .. في حين نُودِي على مَن تبقّي من تلك الأمم أنْ هَلمُّوا إلى علٍ؛ إلى صوت حرّ شجي، وجسم سليم قوي، وهواء ندي نقي، وثمر يانع طري .. فصاحوا: نحن خير الأمم، كفانا عيشًا فوق القمم !!! مصيرنا بين الحفر، من تُرْبها خرجنا ومنها لن نَفِرْ، إلى جنّات أو إلى سَعِر .. ما شأنكم، إنْ عدنا لركوب الجِمَال أو ضُربنا بأذناب البقر، فعيشنا عبيدا تحت خزائننا خيرٌ ألفَ مرّةٍ من ظِلال وارفةٍ في بستان شجر.. وهُمْ إلى الآن على ما هم عليه ومآل حالهم متروك للقدَر، ويدعون: ربّنا غيرنا لا تذر.

وفي وقت عصيب فكّر الثعلب "كيري" في مساعدة – الاحتيال - مَن قال أنّه صديقي وريقه من ريقي، فقرّر زيارته ودفع ما عليه من ضيق .. وحين دخل عليه قال: جئتك راغبا في تمليكي – واستدرك: عفوًا، تزويجي – حسناؤك التي إليها جوانح قلبي مالت وانجذبت، العين برؤيتها شخُصَت والأذن بصوتها طرُبتْ .. سأعطيك مُهْرَها وأحميها وأحميك من حاميك، وكلّما طلبتني، رشّاشي على جناح الطائر يأتيك، وبما صنعت يداي أرميك، ولا أترك لك بيتُ حَجَر أو مَدَر إلاّ منه أعفيك .. فعندي ما يُفَتّتُ الصَّخْر، ويحرق الشجر، ويحدّ العُمْر. فما قولك في أنْ تكون صِهْري، وتَنْعَم طول الدهر بمرّ صبري؟.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آسف معاشر القرّاء فلم أتحصل على نهاية قصّة "كيري" مع صديقه، وإنْ كنتُ أعتقد أنّها لن تكون إلاّ كنهاية سابقيه .. قد لا تكون كذلك إنْ تفطَّن الصديق الغافل في الوقت المناسب، وضرب "كيري" بلكمة تكسّر الفكّين وتسترجع المكاسب، وحدَّ مِقَصَّه وقَلَعَ له المخالب ... حفظ الله الصديق، وأرشده إلى جليس صالح يُوريه صحيح الطريق ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقفة بين العامِل والعالِم

نقفُ اليوم بين مناسبتين مهمتين كان لهما تأثير في الحياة الإنسانية والتاريخ المعاصر، الفاتح ماي "عيد العمال" والخامس ماي تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" سنة 1931م .. وقفة نقفها بين العامِل والعالِم، إدراكا منّا لأهمية العلم والعمل وارتباطهما في النهوض الحضاري للأمم.

تذكرتُ حين بدأتُ أخطُّ هذا المقال أبيات أحمد شوقي التي أنشدناها صغارا في المدرسة:

نحن أصحاب الِحرَفْ ليس يعنينا الترف
ولنا كل الشرف أننا نحيي المهن
نحن أهل للبراعة في أساليب الصناعة
ولنا في كل ساعة نهضة في كل فن
إننا للأوطان دَيْنا قد كتبناه علينا
كل شيء في يدينا هو الحق للوطن

وسطع أمامي الحديث الشريف الذي حفظناه عن ظهر قلب، قول الرسول ﷺ "مَن أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفورا له"، فبحثتُ عن شرحه في بعض المواقع الدينية، ففُوجئتُ بالسائلين يسألون عن صحة الحديث من عدمه!! ولا يسألون عن كيفية أداء عبادة العمل؟ وما شروط صحتها وقبولها؟ واللافت جواب الشيوخ: لقد ضعّفه فلان وصحّحه فلان وحسّنه علان و... دون التعريج على الحث على العمل والترغيب فيه .. نتساءل: أوليس العمل عبادة كما هو العلم؟ ألم يقل ربّ العزة: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) كما قال: (إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لستُ بعالمٍ لأستفيض في شرح الآيات وتخريج الأحاديث كما طلب منّي أحد المشايخ في مقال سابق، ولكنّي عاملٌ قرأتُ أنّ "العلماء ورثة الأنبياء" وأغلب الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام اشتغلوا في الحِرَف: المُزارع والخياط والنسّاج والبنّاء والنجّار والحدّاد والتاجر والراعي، ويأكلون من كسبِ أيديهم .. قرأتُ أنّ الإسلام قدّس العمل كما قدّس العلم، وحثّ على إعطاء الأجير حقّه قبل جفاف عرقه، كما حثّ على إعطاء العالِمِ منزلته، وقرّر أنّ التعب والنصب والوصب في كَسْب القُوت خيرٌ من سؤال الناس واستعطافهم، وأنّ إعالة الأُسْرة والبرّ بالآباء هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، مثله مثل مَن خرج في طلب العلم .. فما فائدة أنْ نبقى نسأل عن صحة هذا الحديث أو ذاك، وصحيحُ الواقع يقول أنّ الأمّة العربية والإسلامية ليس لها اكتفاء في أيّ مقوّم من مقوّمات المجتمعات الحرّة القويّة؛ الغذاء، الكساء، الدواء وما تدافع به عن نفسها...، وفريضة العمل لتحقيقها من أوجب الواجبات اليوم قبل الغد.

العالِمُ الحقّ ليس ذلك الذي حفظ المتون، وصنَّف في العديد من الفنون، لكن هو العامِل بما تعلّم، والقدوة بما تكلّم .. والعامِل الحقّ ليس ذاك الذي يجلس الساعات في مكان عمله، ولكن ذلك الذي يعمل بإتقان وجدّ في تلك الساعات.

لقد ابْتليتْ أمتنا بأفراد مظاهر الترف الغربي أبهرتهم، لا يفقهون قيمة العمل بل يريدونه بكلّ السُبُل مربحًا وعن كلّ المتاعب مُريحًا، غيرهم يزرع ويصنع وهم يأكلون ويستعملون، حتّى بتنا نسمع التناقضات، شباب يحتج ويشتكي الاحتياج والبِطالةُ وفلاحون ومقاولون وصناعيون يشتكون ندرة الأيادي ويطلبون العَمَالة!! وأفراد آخرون من أصحاب التديّن المغشوش المنفوش، ليسوا عن هؤلاء تجاه العمل ببعيد،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ساءني أنْ سمعتُ بأذنيَّ بعضهم يقول: لماذا نعمل وقد سخّر الله لنا الكفار اليابانيين والأوربيين و... يعملون وهم كالأنعام، ونحن نعبد الله ونعمل للآخرة؟!! بِئْست عبادة تجعلك ذيلاً ذليلاً ونبي الرحمة عليه السلام يقول: "اليدّ العليا خير وأحبّ إلى الله من اليدّ السفلى"، وسيدنا عمر قال للشاب المتعبِد "أخوك خير منك" لأنّه يعمل وينفق عليه .. ألا يستحيي المُسْلِم اليوم أنْ يمدّ يديْه إلى أصحاب المِلَل الأخرى (حتّى عُبّاد البقر والقردة والأفاعي) يَطلبُ منهم ما يُشعل به شمعته ويستر به عورته ويحمي به بيضته، ما يبني به المساجد والديار ويُصلح به الأراضي البوار !! متى نستفيق من هذه الغفلة وتلك الجهالة، ونخرج من القوم المتسولين العالة؟!

لنْ يَحْدثَ ذلك ما لم يكن للعلماء المسلمين جمعية على اختلاف مشاربهم ورؤاهم واجتهاداتهم تجمعهم، يتواضع كلّ منهم للآخَر، مَن جلس في الأوّل كمَن جلس في الآخِر، لسبيل العلم والعمل والتفقه والتفقيه تدفعهم، ليس بالكلام والنشريات والمنابر فَقَط، ولكن ببناء وتعمير الصروح وتنقية وتضميد الجروح وبذل الوُسع والطاقات، والصبر على شظف الحياة .. ولن يتحقق هذا ما لم يوجد عُمَّال عاملون، ذوي أموال يسخرونها وإمكانات يقدّمونها وعلاقات يفعّلونها، ما يعطونه في سبيل الدين والوطن خير عندهم مما زيَّنَ الجسد وملأ البطن .. عذرًا عن تقديم العامِل على العالِم في المَتْن والعنوان، فرُتبة العمل والعلم في واقعنا سيّان!!.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رؤيا منام وأحلام

في رُؤيا منامٍ أطلَّ رجل شديد بياض الثياب على سخيّ(كريم) بالقول: "اخْتَرْ، أسبوعا أو شهرا أو سنة، أوراقك انتهتْ". سخي الشاب الفتي لم يهضم الموقف وردّ: "لم أشبع من الدّنيا .. من ولدي، وزوجتي، وإخوتي، ووالديَّ ..." . ليستيقظ وفي نفسه وقْعُ إحساس جديدٍ .. دفن رؤياه باطنه، واسترسل يعيش أحلام اليقظة في دنياه علّه يشبع مِمَّنْ لم يشبع منهم .. يطارد الرؤيا بقوله: "أضغاث أحلام" ، لكن ألفاظ الاختيار وانتهاء الأوراق لا تفارقه.

ألَمَّت به وعكة صحية طرحته مريضا وأدخلته المستشفى، قرّر الطبيب بأنّ مِنْ مبيتِه على سرير المرضى لا مفرْ، كي ينال نصيبه من العلاج ووخز الإبَرْ.. أصرّ سخيّ على عدم المبيت ومغادرة المكان، وغالبته الوحدة وعدم الشعور بالأمان، ولم تفلح محاولات كلّ مَن لم يشبع منهم في ثنْيه عن قراره، وألحّ أنْ يأخذوه لداره، وهمس في أذن زوجته: "سأخبرك بعد حين"!!.. بعد تماثله للشفاء حكى حُلُمَ المنام، وما يحلمُ به في القادم من الأيّام، فثار الجميع: هذه منامة، طارتْ كما تطير الحمامة، لا يعلم الآجال إلاّ منْ يسبحُّ له الطير وتُؤوِّبُّ له الجبال.

مرّتْ أيام سخيّ وهو ملازم لأسرته، وفي انتظار سقوط آخر ورقته، يستأنس في حلّه وتِرْحاله بأخيه مبتهج (سعيد)، يناديه من قريب أو بعيد .. وإلى حيث ينتظرهما الأجل انطلقا، وعشرات المسافات قطعا، ومن ماء نقي اغتسلا، استعدادا للرحيل، وفي لحظة كانت أحلام العمر قد طويت، وآخر ورقة قد سقطت .. يأتي مستهترًا مجنونَا، يرفع عنّه كلّ قيود ومواثيق السلامة، يعبث بالأرواح، ويقتل دون سلاح، وتروح الأحلام أدراج الرياح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رؤيا المنام تحققت، وأحلام اليقظة تبخّرت .. لا يستطيع أحد أنْ يعاند القضاء ويردّ القدر، مهما تحدّر ومهما سهر، لكن يمكن مدافعةٌ القدر بالقدر، والحذر من اللعب بأرواح ومقدّرات البشر .. لقد هالني أنْ أقرأ: توفي 961 شخصا وجرح 13.815 آخر في 9.047 حادثا مروريا خلال الفصل الأول من السنة الجارية على المستوى الوطني، تم تسجيل "ارتفاع محسوس ومخيف" في عدد القتلى والجرحى مقارنة بنفس الفترة من السنة المنصرمة.

من حقّي أنْ أحلم، ومن حقّي أنْ أسأل:

لماذا يرتفع في بلدي أعداد القتلى، الجرحى، المعاقين، الأرامل والأيتام؟ ففي الوقت الذي رُصدت فيه أرقام قياسية للتعبيد، يبقى الجميع يحلُم بطرقات جديدة ذاتُ نوعية، ليس بها مطبّات وأحجار وأحراش جانبية، طرق تصل الشمال بالجنوب، تسير فوقها مركبات ذاتُ مواصفات عالمية، مكتوب علينا صُنِع في وطني، يقودها سائقون أخذوا رخص القيادة عن استحقاق وجدارة، ويحسنون التعامل معها في أيّ حين وعند كلّ إشارة ..

لماذا ترتفع نسبة الاعتداءات الجسدية بالقتل والسَلْب والنّهب والعصابات الاجرامية؟ في حين كنّا نحلُم بارتفاع مستوانا التعليمي والتربوي، وثقافتنا الاجتماعية والبيئية، وازدياد عدد المتخصصين من العلماء والأدباء والأطباء، و...، بازدياد الحجرات الدراسية، والطاقات الفتيّة، والمواهب الفنّية، واستغلالنا للتجهيزات التقنيّة، بطهارة أرواحنا وأبداننا، ونظافة شوارعنا وساحاتنا، وأزقتنا وأسواقنا، لِنعيش في دنيانا آمنين ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لماذا يستفحل الإرهاب الإداري ويصبح غولاً؟ في حين كنّا نحلُمُ بازدياد قدراتنا وإمكاناتنا، وارتقاء موظفينا وعمالنا وإداراتنا، ، فتسهُل التعاملات وتتحسّن المعاملات، فيخرج منها المواطن من غير ضجر ولا ضيق، سائرا بكلّ هدوء وفْق قوانين الطريق..

أحلُم أنْ أستيقظ يوما فلا أسمع عن وجود فاسدين ولا مُفسدين، ولا قتلى ولا مقتولين، ولا سارقين ولا مسروقين .. بل أسمع عن مواطن شريف متحضر ووطن يتقدم ومن تبعية الغير يتحرر .. أحلمُ كما حَلُم الأوربيون منذ عشرات السنين، وكما كنّا قبل أنْ يمزّقنا محتلّ لعين، بوطن وأمّة يسير فيها الراكب من الخليج إلى المحيط، دون جواز سفر، ومَنْ تقابله يبتسم ويمهّد لك الطريق ويقول لك مُرْ، ولا تذق منه أيّ مُر ..

أتمنّى أنْ تتحقق أحلامي ولا تكن أضغاث، وأنْ لا تذهب أدراجها .. قد تنقضي أوراقي قبل ذلك الحين، ولكن بحفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل أوصيتُ أحفادي .. وبهذا يُحفظ وطني وطنُ أجدادي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طُلاَّب بلا ذاكرة

قرأتُ في مقال للمفكر الأكاديمي محمد عباس أنّ الكاتب الألماني الأشهر "جيته" يقول **"أنّ مَنْ لم يعرف تفاصيل الثلاثة آلاف عام الأخيرة سيظل طول عُمره يعيش في العَتْمة"!!**

من هنا، يمكننا أنْ نفهم لماذا اعتبر علماء الغرب أنّ قراءة التاريخ وسيرورته وتحليله وأخذ الدروس والعبر منه، أساس مهمّ للخروج من الظلام الدامس (العتمة)، فانتشارهم على اختلاف تخصصاتهم (الجيولوجيون والأنثروبولوجيون وعلماء الآثار، الأدباء والمؤرخون وعلماء النفس)، منذ خمسمائة عام على أقلِّ تقدير، من خلال الحملات الصليبية التبشيرية (التنصيرية) والعسكرية مثل: حملة نابليون على مصر، واحتلال الجزائر والدول العربية والإسلامية، ومن قَبْلِه طرد المسلمين من الأندلس، وقاموا بسرقة آثار وتاريخ الأمة الإسلامية المكتوبة والمنقولة، واعتكافهم على دراستها واستخراج نفائسها لاستغلالها ووظفوها لصالحهم، من خلال ما يُعرف بالاستشراق والغزو الفكري.

وأنا أتأهب لتسليم مقالي الأسبوعي، وقع نقاش بيني وبين أحد خريجي الجامعة الجزائرية؛ طالب سابق أمضى بضْع سنين بين المدرّجات والحجرات الدراسية، والمطاعم والحافلات الجامعية، والملتقيات والمناسبات الطلابية، دون أنْ يعرف ما يمثله يوم 19 ماي 1956 في الذاكرة الوطنية، أو ما حدث في هذا التاريخ!!. فوضعتُه جانبا، وكتبتُ موضوعنا هذا؛ **"طلاب بلا ذاكرة"**.

تألَّمتُ لطلبتنا ولتاريخنا ولوطننا، على المستوى الذي وصلتْ إليه ثقافة الفئة المَنُوط بها التخطيط والعمل على النهوض الحضاري بأمتنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد اقتنعتُ أنّ غالبية الجيل الحالي لا يمثل له تاريخه الحديث والمعاصر شيء، ولسان حاله يقول: ماذا سأستفيد من معرفة هذه المحطّة وتلك المناسبة، ما دام واقعي بَئِيس؟!! بالكاد تجد مَنْ يعي الأسباب التي دفعت الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لدعوة الطّلبة مِن أجل الالتحاق بالثورة التحريرية ومغادرة مقاعد الدراسة، والموقف الوطني الرائع من الطلبة الاستجابة، وهم يعلمون ما ينتظرهم من التعب والعنت وحملُ الأثقال على الأكتاف، والسير لمسافات طويلة صعودا ونزولاً للجبال وقطعًا للوديان والأنهار، ودفع حياتهم ثمنا رخيصا لا من أجل الكراسي والمناصب أو المصالح والمكاسب، ولكن حبّا للدّين وللوطن واستشعارا بالمسؤولية المُلقاة على عاتقهم من أجل تخليص الشعب المسلم المسالم من المحتلّ الصليبي الغاشم، الذي سام الأهل سوء العذاب، وأذاقهم من الخوف والجوع ونهَشَ أجسادهم بالكلاب، قتّل الأبناء ورمّل النساء، اغتصب الأرض وهتك العِرض .. وليقرأ طلبتنا الأعزاء جرائم الاستعمار في وطني.

لا بدّ من كتابة التاريخ الصحيح، وتدوين الموقف الواضح الصريح، وألاّ نترك فَلِذات أكبادنا (تلاميذةً وطلبة) للريح، ريح تدمير الذاكرة، الذي يمارسه أبناء وأذناب وخُدّام الاستدمار الفرنسي الصليبي، فلا قيمة لفرد أو جماعة أو أمّة لا تاريخ لها، أو تتكّرتْ لتاريخها.

للأسف، بعضٌ من الذين كانوا جزءا من الثورة أو من صانعيها، ساهموا في قتل الذاكرة، لا أقول عن عمْدٍ، ولكن عن سوء تقدير لما سيؤول إليه الوطن بعد أنْ تُستفرغ كلّ الشحنات التحرّرية .. قرأتُ أنّ شارل ديغول نفسُه تلا بيان استقلال الجزائر عبر التلفزيون الفرنسي يوم 5 جويلية 1962، ليُعمّي ويغطّي ذاكرة الأجيال عن هذا اليوم الأسود من سنة 1830، اليوم الذي وطأت فيه أقدام الجيش الفرنسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرض الجزائر محتلين، ليتحوّل هذا التاريخ بعد ذلك من عيد للاستقلال إلى عيد للاستقلال والشباب .. إنّ تدمير الذاكرة يتمّ من خلال تدمير أدوات القراءة، فحين تصبح لغة المحتل القاتل المجرم هي الأولى في الواقع، وتتقهقر اللغة التي كُتب بها بيان أول نوفمبر، وحين يصبح التكلّم بالفرنسية أمتع وأسهل من التكلم بالعربية، وحين تقع ردَّة عن تعريب مختلف العلوم والتكنولوجيا، وحين يصبح الطالب لا يعرف محطّات مهمّة في حياة أمّته، وحين تُغيّب عن المشهد شخْصيات كثيرة فاعلة في رسم مخطط إحياء الذاكرة وتقوية المناعة الذاتية من خلال برامج قوية .. أليس هذا تدمير للذاكرة وللمستقبل؟.

إذا اعتبرنا عدم قراءة هذا التاريخ الناصع وفهمه والاعتبار منه جُرْمٌ مِن شباب وجيل الاستقلال وخاصة المتعلم منه، فمُجْرِم كلُّ مَن يعمل على دفن ماضينا، ومحوِ ذاكرتنا، ومَسْخ هويتنا، واستبدال ثقافتنا وموروثنا الحضاري لصالح من احتلّ بلدي.

إنّ وطننا وأمتنا لن تنعم بالخيرات ولن تكون لها خبرات، ما لم يستيقظ كتابنا ومثقفينا، ويزلزلوا واقع الرقص والشطح الذي يقيم فيه طلبتنا، ويَبْنُوا واقعًا يستندُ إلى العلم والمعرفة، ويُخرِّجُوا لنا **طلّابًا بذاكرةٍ** يخرجوننا من العَتَمة، وليتأكّدوا استحالة بناء ناطحة سحاب على بحر من الرمال المتحركة دون أي أساس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باربي في الزقاق

الزقاق اسم عربي يدل على الشوارع الضيقة يسير فيه الجميع بأدب وحياء، لم يعد ذِكره منتشرا بيننا لأنّ شوارعنا اتسعتْ لنا ولغيرنا .. أمّا **باربي** فإسمٌ ليس بعربيٍّ ولكن عَرَّبته شُهْرَتَهُ، اسمٌ أُطلق على دمية هوليودية يهودية، سرعان ما أصبحتْ كما يقول المثلُ العربي: **"نار على علم"** أيْ مشهورة، كما كانت شهرة صخر وأخته الخنساء التي قالت في رثائه:

وَإنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِـهِ كَأنَّهُ عَلَـمٌ فـي رَأسِـهِ نـارُ

وقلتً على منواله:

وإنّ باربي لتقتدي البناتُ بها في هيأتها قمر ليلة البدر

خرجتْ باربي الدمية إلى الأسواق كلعبة العرائس، في صورة ممشوقة رشيقة وحلّة أنيقة رقيقة ببدنها لصيقة، حذاؤها ذو كعب عالٍ، لا يُلبس إلاّ في الخيال، الأحمر زينتها على الشفاه والخدود، وابتسامتها عريضة بلا حدود، أعمارها مختلفة بين البُنَيَّةُ والصبيَّة وحاملة الحقيبة الذهبيَّة، تتلقفها البنيّات ذات اليمين وذات الشمال، يمشّطْنَ لها الشعر وهن يُغنّين: "دميتي خير اللعب ولها أمّ وأب"، لا ينَمْنّ حتّى تنام الدُمى ويقبلنها.

بقيتْ باربي الدمية على حالها إلاّ في أنواع لباسها وفساتينها، بينما كَبُرتْ صورتها في أذهان البنيّات، ولم يجدنَ بدًّا من تقليدها وهنّ فتيات.. فخرجت باربي من سكونها بين الأيادي، وكأنّ الروح قد نُفخت فيها، تمشي في الشوارع والساحات وتدخل الدكاكين والمحلاّت، وصاح البنين والبُنيّات: باربي في الزقاق تمشي مع الرفاق!!.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كبرتْ البُنيّات وأصبحن صبيّات وفتيات يقلّدْنَ باربي، بل تفوّقنَ عليها في اللباس؛ سراويل (فيزوات) أقل من المقاس، وتنانير قصيرة بألوان زهية؛ حمراء وزرقاء وصفراء وخضراء...ووردية، وأثواب مثقوبة ومقطعة كأنها بالية، لا تُخفي سوى لون البِشرة، يكاد مَن أطلق عيناه للنظر ولا يسبح ويستغفر، من خلالها مَعرفة المقاس والطول بالمليمترِ، وكلّ النتوءات والتجاعيد والبُؤَرِ .. يضعن العطور والأصباغ والطلاء، ويمشين بتمايلٍ مشيةَ حيّةٍ رقطاء.. ومَن لم تستطع ذلك، ضيّقتْ وزركشت ما يشبه الحجاب وخرجت عن الآداب في ذهاب وإيّاب.

واللافتُ أنّ الأولياء، أمّهاتٌ وآباء، الذين يفتخرون بأنّهم تربّوا على الحشمة والحياء، لا يجدون حَرَجًا أنْ تكون بناتهم باربي، ويرافقونهن بدون انزعاج وهنّ على تلك الهيئة إلى المدرسة والأسواق بين شارع وزقاق .. أيْن الحشمة والحياء؟!! أمْ أنّ المفاهيم تغيّرت، والمسمّيات لا تعبّر عنها الأسماء؟ قد يكون مفهوم الحشمة قد تغيّر من الظاهر إلى الباطن، كما يقول بعض الجهلاء: "الإيمان في القلب" وتناسوْا أنّ: "الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل".

متّفِقون أنّه لا لوم على البنيّات اللاعبات فإنّهنّ بريئات .. فمَنْ نعيبُ؟ الفتيات الحالمات المقلّدات، أم المستوردين الذين لا يهمهم سوى ربح الدولارات، أم التجّار الذي يشترون ما تتكرّم به الحاويات، أمْ الخيّاطين والخيّاطات الذين عجزوا عن الحفاظ عن الموروثات، أم الآباء والأمهات، أمْ مَنْ سمح بوصول الوضع إلى هذا الحدّ وفشل في بلورة سياسات ناجحات، أم ... ، أم مخطط لعين يخفي حقد دفين على دين ربّ العالمين، الكلّ غير بريء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالمحافظة على الأبناء والأجيال، والميراث والتراث، مُهمّة الجميع دون استثناء في كلّ زمان ومكان، ولا يُلتفتُ فيها لمكاسب مادية ومنافع شخصية قد تزول في أيّة لحظة .. ونجاح الغرب أو الشرق في تغيير ملامحنا ونشر ثقافته، لهو شرّ مستطير، وأمر خطير، يسلبنا الهوية، ويدفننا في الجهالة والأميّة، ويرمينا بعيدا عن الصعود الحضاري والأمم القويّة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرزائيات

تخاُله من ملامحه وقبّعته وسلسلته اليدوية أحد أبناء أنجلترا، حركاته توحي بنوع من الاستعلاء، كلماته لا توحي بفكر أو تُخيّل لك أنّه من الشعراء أو الأدباء، رجل جمعتني به وبثلّة من الأساتذة جلسة منذ سنتين في أحد مقاهي ذراع بن خدّة، لم أكن أعرفه من قبل، حتّى همس في أذني أحد الأساتذة أتعرفه؟ قلتُ: لا، قال: إنّه عمر أزراج، صاحب الأزراجيات !!.

رجعتْ بي الذاكرة إلى تلك الجلسة وأنا أقرأ مقتطفات من الحوار الذي أُجري مع أزراج في إحدى الجرائد اليومية وخاصة حين تكلّم عن الهويّة والفكر والاشتراكية. فهو يعتبِرُ المجتمع الجزائري في الستينات والسبعينيات – مرحلة التطبيق الاشتراكي - "مجتمع مفكك، مكسور الهوية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ليست له هوية معمارية متقدمة" .. الحقيقة أنّ المجتمع الجزائري لم تُطرح عنده مشكلة الهوية، ولم يكن يعاني من انفصام أو كسور في هذا الجانب، بل كان أشدّ لحمة ممّا هو عليه اليوم. الكسور الذي يحكي عنه أزراج، هو كسور داخله والمجموعة التي على شاكلته التي استوردت هويّة غير أصيلة في المجتمع وحاولت زرعها وإقامة بنيان لها .. ولأنّ التربة غير صالحة لتلك الزراعة فقد فشل مشروعهم الاشتراكي، وترك على الأرض اختلالات وكسور كادت أنْ تجعلها بور، ونعاني آثارها إلى اليوم .. ما زال أزراج يعيش الكذب والحلم الذي صدّقه ببناء عدالة اجتماعية من خلال استيراد الشيوعية الاشتراكية وهو مَن قال:" كنا نريد أن تترسخ الاشتراكية، كنا نريد العدالة الاجتماعية"!! وهم اليوم يسبحون باسم "النظام الرأسمالي المتوحش" الذي استوطن مهدَ الشيوعية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المفكر الواعي ينقد الأفكار ولا يقدح في الأشخاص ويتهمهم بعدم الفكر؛ فحين يقول أزراج: "محي الدين عميمور، وهو ليس بالمفكر .. يفقه في علاج الأمراض ولكنه ليس له منهجٌ فكري ولا كفاءة فكرية لكي يدرس تفاصيل الواقع الجزائري والذبذبات النفسية العميقة للمجتمع الجزائري لكي يتمكن من العمل فكريا في صياغة مشروع ثقافي فكري اشتراكي"، ويقول: "الأستاذ محمد الميلي، هو ليس بالمفكر"، ويقول عن طالب الإبراهيمي: "فهو شخصية تقليدية رغم أنه درس في باريس وأعتقد أن المقص العصري الذي يستخدمه في العلاج ليس له في المقابل مقص فكري ذهني متطور يستعمله في علاج الأمراض الاجتماعية والثقافية وأمراض قلة تنظيم المجتمع الجزائري"، ويقول: "مصطفى الأشرف لا أعتبره مفكرا، هو صحفي جيّد يحاول أن يفكر أحيانا" ويصرّح: "إذا كانوا فعلا مفكرين فأين المشروع الفكري التنويري النهضوي؟".. ألا يُعتبر هذا الكلام حطًّا من شخصية قائله؟.. أعترف أنّي لم أقرأ كثيرا لهؤلاء الأساتذة وإنْ كان يعجبني فيهم عميمور، ولم أسمع أحدا يقول عنهم أنهم مفكّرون. ولكن، هل هناك مانع أنْ يكون الطبيب أو المهندس أو الأديب أو الفيلسوف و... من المفكرين؟ طبعا لا. لكنها هستيريا الانفصام حين تتغلغل في الأعماق والعَمَهِ حين يصيب القلب والشلل حين يُقعد العقل، فيتخبط صاحبه كما قال الشاعر:

رأيتُ المنايا خبط عشواء من تصب
تُمت ومن تخطئ تعمّر فيهرم.

لقد عمّر أزراج، وهو اليوم يَخْبُط كما خبط بالأمس مع رفاقه .. وددتُ أنْ يُعرّف لنا الفكر ويُعطي المقاييس التي تجعل مَن يتكلمون أو يكتبون من المفكّرين، وإنْ كان هو في عدادهم.. أكيد أنّه يعدّ نفسه منهم مادام تتويريا!!!

أمثال هؤلاء الذين عشقوا المذهب الشيوعي الاشتراكي وحاولوا تسويقه باسم اشتراكية الإسلام، وهو القائل: "نريد الاشتراكية التي حث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها الإسلام"، لا ندري في أيّة آية أو حديث حثّ الإسلام على الاشتراكية!!! ويرفضون إلى اليوم الاعتراف بفشل مشروعهم، وبأنّه وأمثاله و"التيارات اللائكية سبب أزمة الجزائر" كما قال عميمور، ويكفّوا ألسنتهم عن اتهام أصحاب اللسان العربي والفكر الوطني بأنّهم سبب ما تعانيه الجزائر من مأساة!!

إنّ الأزراجيات ومن على شاكلتها تدّعي العمل "لله وللوطن"، وحقيقتها أنها **أرزائيات** تنكّرت لتاريخها وثورتها وشهدائها وقيمها الأصيلة. أصحاب اللغة سيعاتبونني ويقوّمونني بأنّ أرزائيات جمع غير صحيح لـ: "رزء" والصحيح "أرزاء"، نقول أنّ مصائبنا أصبحت ظلمات بعضها فوق بعض وأرزاءنا أصبحت أرزاء فوق أرزاء وتحوّلت إلى "أرزائيات".. ولن يتغيّر هذا الجمع ما لم يستيقظ الجمعُ من السُّبات ويلجموا الأزراجيون والأزراجيات الذين تعددت عندهم الهويات والمسمّيات، ويُعملوا أقلامهم دفاعا عن الوطن و ثوابته عوض عض الأنامل من الغيظ والألم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجلد المنفوخ والعقل المطبوخ

منذ أكثر من ربع قرن قرأتُ في إحدى المجلاّت مقالا بعنوان "الرياضة الشعبية تهدف إلى الانحراف عن الأخلاق الإسلامية" حينها لم أبلغ الحلمَ ولم أستوعب المقال جيّدا ورأيتُ فيه مبالغة، رُغم أنّي لستُ من هُوّات الرياضات الشعبية ولا من متتبعيها محليّا أو دوليا .. وفريقنا في تلك الأثناء طار إلى المكسيك ليلعب كأس العالم ويعود بالألقاب والمفاخر!!!.

اطّلعتُ بعدها بفترة على كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" الذي يرسم سياسة الاستيلاء على العالم. لفتَ انتباهي تأكيدهم على ضرورة استغلال الرياضات الشعبية القديمة وتشجيعها وخلق أنواع أخرى جديدة بما يخدم أهدافهم، وجعلها مَلهاة للشعوب ووسيلة لكسب المال والسيطرة على طاقة الشباب وتوجيهها.. قلتُ: هذا خيال بعيد المنال!!!.

مرّت السنوات وانفتحت القارات بفعل الفضائيات والأنترنت، وبدأ تردّي الأخلاق في العالم وفي المجتمعات العربية والإسلامية خصوصا يظهر شيئا فشيئا، ولم تسلم الرياضة منها بل إحدى وسائلها .. بقدر ما كنّا نسمع ونشاهد مباريات تجري هنا وهناك، بقدر ما كنّا نسمع ونشاهد مشاحنات ومشاجرات أصبحت جراحات غائرات وكمّادات متتابعات، وأحيانا عاهات مستديمات بفعل العنف المبالغ فيه .. أمّا فحش الكلام؛ من سبّ وشتم وقذف وقدح، فقد أصبح يعوّض التحية والسلام!!!.

اللعبة الأكثر شعبية في العالم وبدون منازع هي كرّة القدم، لذا نجدها أخذت نصيب الأسد في الاهتمام بها فأُنشئت لها النوادي وأُسست الشركات، وبها فتحت استثمارات حتّى غدت الفيفا أكبر مملكة للعبيد في العالم –كما قال الراحل القذافي- تشتري وتبيع اللاعبين بالملايير!!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقابل ماذا؟ مقابل أنْ يَجري اللاعب وينطّ أيْنَ ينطّ الجلدُ المنفوخ (الكرة)، ويستعرض مواهبه بحركات وقفزات ونطحات وركلات حُوّل لأجلها بيت المتنبي الذي قال فيه:

من: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعتْ كلماتي مَن به صمم

إلى : أنا الذي نظر الأعمى إلى قدمي
وأسمعت ركلاتي مَن به صمم

نعم واقع الحال يقول: قد تحوّل الأدب إلى القدم والكلمات إلى الركلات!!! .. كلّ الأضواء تسلّط على اللاعب من وقفته إلى قفزته، في حلّه وترحاله، من أناقة بدلته ونوع حذائه إلى قصّة شعره وسلسلة رقبته وقراط أذنيه .. إذا كان هذا مبرّرا في ثقافة الآخر فهو غير مبرر في ثقافتنا .. للأسف مبرر لأنّه يصنع الفُرجة ويبني الأمجاد ويُلهيَ العباد...

شاهد الجميع وسمع عن أمّ المعارك، معركة أمّ درمان 2009، وما سُخّر لها من طاقات وإمكانات لردّ الكيد الذي وقع على لاعبينا في القاهرة، والذي كان ضحاياه الأولى هم الطلبة الدارسون والعمّال المكافحون وبعض العائلات المتصاهرة أين يقيمون، ومقرات تحرق وأملاك تنهب ورموز تدنّس .. إنّ الكثيرين يعتقدون أنّها صفحة طُويت لكن الحقيقة أنّ جراحها مازالت غائرة في القلوب وتغلي بها العقول المطبوخة بتلك الطبخة التي اجتمع لأجلها مجلس الأمن القومي المصري!!!، والافتراء والبهتان الذي صدح به الكذّابون الآثمون في وسائل الإعلام، أو بعض الأقلام.

أصبح أكبر حزب في العالم هو حزب كرة القدم، وأكثر الأشخاص شهرة هم لاعبوها .. فتجد الشباب والكهول الذكور والاناث يحفظون أسماءهم وألقابهم وأوزانهم وأعمارهم وركلاتهم وأهدافهم وعدد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقابلاتهم ونواديهم وإصاباتهم و... ولو سألته عن تاريخ ميلاد والده أو أمه لأجابك: لا أعلم!!!. كيف سيعلم وعقله المطبوخ ليس به مساحة لغير فريق يعشقه ولاعب يحبّه، هواه قابَلَ هواه، ويلهج بذكره في صباحه ومساه.

الرياضة ليست كرة قدم فقط بل أكثر من ذلك الرياضات النسوية التي تنشر ثقافة المسخ والعري والدياثة .. حتّى الألعاب القتالية كالملاكمة والمصارعة والكاراتيه أخذت منها الأنثى بحظ وافر وما فاقها إلاّ عدسات الكمرات التي تنقل للجمهور جسدها عدا بعض المواضع!!! . وتحدّث عن الكرة الطائرة والتنس والسلّة و والسباحة وما أدراك ما السباحة.. واذكر الجمباز والتزحلق على الجليد والرياضات الراقصة التي يلتصق فيها جسد الأنثى بجسد الذكر، وأهلها ومحبوها يحيونها ويشجعونها والكلّ بها يفتخر.

لستُ ضدّ الرياضة، ولكن مع رياضةٍ تنمّي العقل وتُرسي الأخلاق وتحمي المجتمع من الانزلاق، ولا ضدّ ممارسة الأنثى الرياضة، ولكن تمارسها محافظة على ثقافتها الأصيلة العريقة، لا أنْ تمارسها وفق قوانين المستعمر البائد والغرب السائب، المفكك الأوصال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الشمال القسنطيني إلى الجنوب الفلسطيني

شهدت الجزائر، أرض الجهاد والاستشهاد منذ قرابة ستين سنة، وبالضبط في شهر أوت 1955 حدثاً جللاً كان الهدف الأساس منه هو فك الحصار عن منطقة الأوراس مهد انطلاقة ثورة التحرر الوطني في الفاتح نوفمبر 1954 ودعم إستمراريتها وإذكاء وقودها.

هذه الأحداث بدأت بموقعة **هود شيكه** بالدبيلة بوادي سوف في بداية الشهر، لتنتفض الجماهير بإيعاز من قادة الثورة وعلى رأسها الشهيد البطل زيغود يوسف مهندس انتفاضة 20 أوت 1955 أو ما عرف بانتفاضة الشمال القسنطيني.. ومن محاسن وطننا أن خُلّد هذا اليوم بـ: "يوم المجاهد"، يومٌ يجب أن يبقى حيًّا في ذاكرة الأجيال، لأنّ المستدمر والقوى الامبريالية العالمية مثلها مثل اليهود لا يُؤْمَنُ جانبهم، ولا قِيَمَ لهم مهما رفعت من شعارات برّاقة حول حقوق الإنسان وحرّية التعبير والديمقراطية الزائفة، بل محاربتها لكلّ من يدعو للقيم الأخلاقية والإنسانية الحقّة.

لا بد من التأكيد على أنّ هذه القوى هي قوى إستدمارية، لأنّها دمّرت كلّ صوت وموقع يرفضها، والصور والفيديوهات القليلة التي نشاهدها عن جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر شاهد على ذلك، ولو قُدّر لنا الاطلاع على أرشيف فرنسا لهالتنا جرائمهم التي لا يريدون الاعتراف بها إلى اليوم.

وجرائم الفرنسيين ومن ورائهم الحلف الأطلسي ليست أقل من جرائم الصهاينة ومن ورائهم العالم الحرّ في الجنوب الفلسطيني اليوم، الفرق أنّ الصورة اليوم أوسع وأسرع انتشارا وأكبر وأقوى تأثيرا ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صورة غزّة اليوم؛ أشلاء الأطفال الممزقة وجثث النساء والشيوخ الملقاة في الشوارع والمستخرجة من تحت الأنقاض أو الممددة على أرضية المستشفيات ملطّخة بالدماء، والمباني والمساجد التي سُوِّيت على الأرض، والحقول والأشجار والأراضي التي جُرِّفت بما فيها من أغنام ودواجن وطيور كانت تساهم في تخفيف وطأة شدّة معيشة أهلها المحاصرين منذ سنوات.. هاته الصورة هي صورة فرنسا الاحتلال والاستدمار، فهذا المجاهد الدكتور عثمان سعدي يوضح صورة المجاهد ومحيطه فيقول: "أنتمي إلى أسرة قدمت الكثير من أبنائها وبناتها فداء للجزائر الثائرة، والدتي أنجبت ستة: أربع بنات وولدين، بنتين أرملتي شهيدين والدتين لاثني عشر يتيما لشهيدين، أحد الولدين استشهد وهو يحمل السلاح في جيش التحرير الوطني في سن الخامسة والعشرين من عمره. والابن الثاني مجاهد. أُسَرُ آل سعدي دُمرت منازلُها الإثنا عشر بالقرية، وأُخذت حجارتها فبني بها المركز العسكري الفرنسي في الناحية عقابا لها على تجند أبنائها في جيش التحرير" وخطّ برليف المكهرب كان أداة للحصار.

إذا كانت صورة الثورة في جانبها المادي قاتمة مشينة محزنة، فإنّها في جانبها المعنوي النفسي ناصعة رائعة ملهمة، ألهمت شعوبا بأسرها لتنتفض وتتحرر، وفلسطين وأهلها يشهدون على ذلك كما يصرح به اليوم قادة المقاومة الفلسطينية أنفسهم ..

فالقادة يدركون أنّ الحرب لها ثمن باهظ يجب أن يُدفع، فهذا الشهيد زيغود يوسف يجعل من أسس انتفاضة 20 أوت 1955: "أن يعرف الجميع أن الثورة مستمرة لا رجعة فيها وثورة دون شهداء وضحايا وخسائر لعبة أطفال"، فتقدموا الصفوف ومن ورائهم الشعب المتعطش للحرية، وقدّموا أنفسهم وأموالهم ولم يثنيهم الاعتقال والقتل والاغتيال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، ...) عن الاستمرار حتّى نيل الاستقلال .. وهذا النموذج يتكرر اليوم في أرض الإسراء والمعراج حتّى قالت المقاومة: "نحن حركة ولودة، ولم تتأثر ولو مرة واحدة بأي عملية اغتيال كان ينفذها العدو الصهيوني، بل كانت دماء قادتها وجنودها دائما وقود جديد لمسيرة الجهاد والمقاومة، ولكن نؤكد أن استشهاد أي قائد من قادتنا العظام لن يوقف عجلة المقاومة، بالعكس فإن المقاومة تزداد شعلتها نورا ونارا على الاحتلال، بالإضافة إلى ذلك فإننا نعمل بشكل مؤسساتي، بحيث إذا استشهد أي أحد من قادتنا الأبطال فإن القافلة تواصل سيرها نحو التحرير بإذن الله" .. وقال أحدهم: "دماء قادتنا غالية كدماء أبناء شعبنا وهي وقود المقاومة ودماء القادة لا تزيد المقاومة إلاّ عنفوانا والشعب إلا التفافًا حولها بفضل الله".. نواميس الكون لا تتغير، القادة المخلصون والدماء الزكية تزيد الشعب التفافا حول الانتفاضة واستعداد للبذل والعطاء، وكما كانت بُنيةُ الثورة التحريرية المجيدة على أسس بشرية ثلاث: المجاهدون والمسبلون والمناضلون، فاليوم المقاومة في فلسطين بنت هيكلتها على هذه الأسس؛ مجاهدون بلباسهم العسكري وذوو تدريب عال، ومسبلون يسندونهم بالمعلومات الميدانية والإستخباراتية، ومناضلون يعبِّئُون الشعب ليكون ظهيرا للمجاهدين.

المتأمل للواقع العالمي الآن يدرك أنّه مختلف عمّا كان عليه ابّان الاحتلال الفرنسي، فالمؤامرة على فلسطين أوسع واكبر، وخاصة أنّ القوى الإقليمية التي كانت ظهيرا للجزائر في معركتها التحررية جزء منها اليوم يقف في صف العدو الصهيوني المحتل، سواء داعما أم صامتا، وأمارات مؤامرات إمارات عدّة بيِّنةٌ واضحةٌ .. لكن الأكيد أنّ مَنْ نصر الرجال الذين انتفضوا في الشمال القسنطيني صدقا وإخلاصًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحت راية "الله أكبر" هو ناصر شعبُ المقاومة في الجنوب الفلسطيني دون ريب أوشك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطاب العزة على أرض غزة

محاولة لفهم ما حدث ويحدث في غزة من معجزة مؤيّدة من ربّ الطير الأبابيل ولا يصدّق باعتبار الميزان المادي البشري، سنسلط الضوء على المقطع الأول من الخطاب الذي ألقته المقاومة الفلسطينية المسلحة بعد توقيع "النتن- ياهو" على وثيقة التفاهمات للتهدئة وفق شروط المقاومة.

لكلّ محارب عقيدة، وافتتاح كتائب المقاومة خطابهم بالآية **"لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون"** يعطي لمحة دالة عن عقيدتهم الدافعة لسلوكهم طريق المقاومة المسلحة في وجه قوّة تمتلك أضعاف ما يمتلكونه من عتاد وقوّة مادية، آية أبرزوا من خلالها أنّهم سلّموا الأمر لله قبل المعركة وأثناءها وبعدها متيقنين بأنّ النصر من عنده وحده، ولا سلطان لأحد غيره عليهم، فلا يمنن أحد عليهم بما قدّم لهم .. ومعلوم أنّ العقيدة الدافعة لها تأثير كبير على أداء المقاتل في الميدان، فمن كان أمره أمر الله وكانت احدى الحسنيين (النصر أو الشهادة) أمنيته فلن يتراجع عن مشروعه التحرري البتة، بل يتقدم حيث يواجه العدو ويردّ عدوانه ويثخن فيه الجراح ويجعل أمانيه تذهب أدراج الرياح.

اللافت قول المقاومة **"هذا ليس خطاب النصر"** في حين كان الكلّ في الداخل والخارج يحتفل ابتهاجا بانتصار غزّة!!، بل اعتبروا بيانهم **"كلمة على الطريق لابد منها"**، وأيّة كلمة هذه التي لابد منها؟ وأيّ طريق هذا الذي يسيرون فيه؟ .. ليتضح أنّ الكلمة هي كلمة الجهاد والاستشهاد وأنّ طريقهم التضحية والفداء حتّى النصر .. طريق طويل يضربون فيه موعدا غير محدد الزمان لكن وعدوا بأنْ يكون **"قريباً إن شاء الله"** وفي الوقت ذاته حدّدوا الوِجهة والمكان **"باحات المسجد الأقصى"**، وهنا تتضح نهاية الطريق الذي يسلكونه والهدف الأساس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي ينشدونه من وراء المقاومة، فحين يتحقق ذلك **"فموعدنا مع خطاب النصر"** .. ودلالة هذه الكلمات أنّ معركة غزّة ليست سوى مرحلة من معركة أكبر؛ معركة فلسطين، التي يجب الإعداد لها والأخذ بكلّ الأسباب لضمان النجاح فيها، وعلى كلّ أبناء الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية أنْ يُساهموا في **"وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة"**.

ويشير هذا الخطاب إلى عامل مهم لتحقيق النصر في أية معركة، معركة تحرر أو معركة بناء ونمو وتطور، هذا العامل هو الاستثمار في العنصر البشري، وقد استثمرت المقاومة في هذا الجانب أول ما استثمرت في تحرير المرأة من القيود المادية والارتقاء بها روحيا وفكريا وعلميا بحيث أصبحت الأم التي ترضع وليدها **"معاني الرجولة والشهامة والفدائية"** فتسري في دمه وتصبح هواءه الذي يستنشق وماءه العذب الذي يشرب والروح التي يحيا بها، والزوجة الواعية التي تدرك أنّ زوجها سواء أكان قائدا أو جنديا مجاهدا أو أصبح شهيدا، هو تاج فخار على رأسها تأملُ في صحبته في الآخرة فتدفعه **"للواجب دون تردد"** فيخرج **"لصد العدوان وهي تعلم أنه قد لا يعود"** وكذلك حال البنت مع أبيها والأخت مع أخيها .. وبالتالي اعتبرت المقاومة أنّ هذا النصر هو نصرهنّ، وفي هذا دفع للمرأة كي تبذل المزيد من الجهد لتكوين الجيل الذي سيحتفل بالنصر في **"باحات المسجد الأقصى"**.

الخطاب يشير إلى عامل آخر من عوامل النصر والنهوض، إنّه المجتمع بعمومه أو ما يسمّى بالجبهة الداخلية، فجبهة غزة كانت أكثر لحمة من أيّ وقت مضى وكان لسان أهلها جميعهم؛ الأطفال والشيوخ، الرجال والنساء: **"نحن مع المقاومة .. يا مقاومة اشتدي"** وكان العدو مدركا لهذا المفصل فحاول كسره بصب أطنان القنابل وهدم آلاف البيوت وقتل وتشريد الألاف، فما سمع العالم منهم إلاّ: **"حسبنا الله**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونعم الوكيل" وازدادت صلابتهم ونادوا ذراع المقاومة وقيادتها وهم يخرجون من تحت الأنقاض **"خذوا من أبنائنا ودمائنا وبيوتنا ما شئتم"** .. فحفظت المقاومة هذا الصنيع لشعبها وجعلت النصر نصرهم.

الخطاب كذلك لم ينس وقود المعركة وجذوتها، الشهداء الذين تناثرت أشلاؤهم وأجسادهم وسالت دماؤهم تروي شجرة الحريّة في ربوع غزّة، والجرحى الذين تمزقت أطرافهم ولم يعد بجسدهم موضعا إلاّ وبه ندبة بفعل المتفجرات والقنابل الحارقة .. ووصفتهم بأنّهم **"أبطال أسطورة الصمود"** وخاطبتهم أنّ النصر **"نصركم أنتم أولاً"** وألقت عليهم التحيّة العسكرية في تواضع وهم الأعزاء.

في هذه القراءة يتضح جليا أنّ المقاومة ناضجة وواعية بأهمية معية الله في المعركة، ودور الوحدة الوجدانية والميدانية والالتحام مع الشعب ومدّ جسور الثقة نحوه في صناعة النصر وإلحاق الهزيمة بالعدو .. وهذا الوعي يؤكد التقدم نحو الهدف وهو الذي يجعل السير موفقا والطريق ممهدا والنصر بإذن الله مؤكدا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نجاح الفشل

عجبتُ في وطني وخصوصا خلال الأشهر الماضية من اجتماع التناقضات، وانسداد الطرقات، وكثرة البرقيات التي كانت تطوف بين عدّة جمعيات للوصول إلى توافقات حول حلّ سحريّ يدفع بعيدا صاحب الصوَلات والجولات، والانجازات الباهرات، بحجة رابع الإخفاقات!!! .. يريدون العصمة، وسبحان مَنْ ليس له خطايا وزلاّت.

عجبًا .. يجتمع مَنْ يؤمنَ بأنّ حقائق الإسلام ولغة الضاد هما السبيل لصلاح العباد وتطوير البلاد، مع مَنْ يراهما سبب التخلف وطغيان الفساد، وآخر بينهما؛ الليبرالية عنده أنجع الحلول والرأسمالية منهج الأسياد .. فأنّى لهؤلاء اجتماعٌ على رأيٍ وسَدادٍ!!! .. هنا نقطة انطلاق نجاح الفشل.

هل اجتماعهم حول رفض فكرة الآخر (مضادةً أو خصومةً)، كان نابعا من قناعات، ومؤسسًا على ثوابت راسيات، أم هي لحظة زهوٍ ومحضِ مراوغات؟؟. أعتقدُ الثانية، لِمَ تمتّعوا به في الفترة الماضية من أنانية وطموحات شخصية آنية وأملاً في مكاسب خاصة ذاتية .. لقد حاول مَنْ يحسبُ نفسه مُرجعُ مجد تيّار كان سابقا محلّ تقدير واحترام، تجميع عدّة جمعيات وشخصيات، لمْ يُسمع لهم سوى الاعتراض والانتقاد، والاعتداد ثمّ الابتعاد، وأخيرا الانصراف أصفارا دون رؤية مُقنعة توحّدهم، وحلولا ورؤى تحفّزهم .. ففرّوا إلى أيسر وأسهل خيار.. خيار المقاطعة .. إنّه بداية مسير نجاح الفشل.

الحقيقة التي يغمض هؤلاء أعينهم عنها، أنّ فشلهم المتتالي بدأت أعراضه منذ سنوات .. لقد كانت أغلبُ تلك الجمعيات جسما موحّدا، وما لبثتْ أنْ رأتْ المغانم فسال لعابها وارتعشت، ثمّ امتلأت بطونها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فانكسرت وانقسمت إلى جسيمات (أجسام صغيرة) بالكاد تسمع لها صوت خارج أوقات الأعراس الدورية والمواعيد الانتخابية، إلاّ أنْ تكون خرجات فلكلورية.

السؤال الذي يجب أنْ يجيب عليه أولئك الفاشلون: لو كانوا صادقين مع أنفسهم، لماذا لمْ ينجحوا في الالتفاف حول شخصية معارضة فتيّة تسمح لهم بضربة قاضية قوية، تطيح بالخصم، وتمكّنهم من الفوز والحسم؟ .. الأكيد أنّ كياناتهم التي دعت إلى الإفشال، قد فشلتْ في النجاح الذي كانتْ تريد الوصول إليه من خلال المقاطعة .. ولمّا لم يستسيغوا التقهقر ويستوعبوا الدرس، ذهبوا إلى التبرير بكلّ حرص، فقالوا: لقد نجحنا، إنّ نسبة المقاطعة بلغتْ 80% !!! لا ندري إلى أيّ معيار استندوا؟ لو افترضنا أنّ نسبتهم صحيحة، كيف لهم من التأكّد أنَّ مَن لم يصوت كان مقاطعا وواقفا إلى جانبهم ومقتنعا بهم؟ .. المؤكّد أنّهم نجحوا في الفشل.

حتّى لا أُتَّهَم أنّي مع هذا أو ذاك، فالمؤكد أنّه لا يمكننا جميعا اغماض الأعين عن مشكلة هنا وأخرى هناك، فهذا موجود في كلّ التجمعات والمجتمعات، وهو نِتاج جرائم سابقة وسوء تخطيط منذ سنوات .. ولكن لا يمكن أدبيا وأخلاقيا العدول عن الحديث عن عجز المجتمع المدني والجمعيات السياسية عن بناء هياكلها وقواعدها وتكوين الأفراد المنضوين تحتها، تكوينا تربويا، ثقافيا، فكريا، سياسيا؛ تكوينا يرقون بهم إلى مستوى المخاطر والتحدّيات والآمال والتطلعات في النهوض بوطن ينتمون إليه ويصرخ الجميع " نحبّك يا بلادي" .. تكوينا يكونون قادرين به على استثمار الموارد البشرية والمادية، وتحقيق الانسجام مع الذات والأفكار، لا أنْ نرى الأفراد يسقطون في كلّ محطّة ترغيب أو ترهيب. وهنا يَفشل النجاح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان الأحرى بهؤلاء الانكفاء والانزواء، محاسبين أنفسهم عمّا اقترفوه فيما مضى، وجلب لهم السخط وعدم الرضا، وعمّا أضاعوه من طاقات وقدرات لو وُظّفتْ أحسن توظيف لاستفاد منها الوطن، وسدّوا الثغرات بكلّ علم وفن.

يضربون المثل بتركيا وأردوغان .. فوطني أغنى وأغلى من تركيا، وأردوغان وحزبه لم ينزلوا من السماء، ولكنّهم عملوا بكلّ إخلاص وجدّ من أجل تركيا الحضارة والرخاء، فكوّنوا الرجال والنساء، ونشروا الصّدق والفضيلة في كلّ الميادين والأحياء، وقد قال لي أحد الذين زاروا تركيا منذ سنتين أنّه التقى إحدى التركيات فقالتْ له: أنا علمانية لا أعترف بالدّين، ولكن أنتخب حزب الحرية والعدالة وأردوغان لأنّه صادق مخلص .. هذه هي الحقيقة .. أمّا أحزابنا فماذا قدّمت؟؟ لستُ بحاجة إلى الجواب، فحالنا يغني عن مقالنا، ونجاح فشلهم بادٍ للعيان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقدة عباس من المقاومة وحماس

محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية منذ 2005 قيل عنه وفيه الكثير .. ونحن هنا لسنا بوارد الحديث عن أصله الذي قيل بأنّه فارسي إيراني من مدينة "بندرخمين" التي جاء جده مؤسس البهائية رضا غلام ميرزا منها إلى فلسطين في عام 1882 هرباً من قبضة الحكومة الإيرانية التي كانت إذ ذاك تضيق على البهائيين باعتبارهم مرتدين مثيري فتن، أو عن الاتهام موجه له ومحمد "دحلان" مع رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرييل شارون وضباط من الاستخبارات الأميركية، في محضر الاجتماع السري الذي عقد سنة 2003 ووزعه أمين سر اللجنة المركزية العليا لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فاروق القدومي، وقال إن الرئيس الراحل ياسر عرفات أودعه لديه قبل وفاته، وتم التخطيط فيه لاغتيال عرفات وقيادات أخرى من فصائل المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حماس والجهاد .. لأنّ هذا يقتضي تتثبّتًا ورجوعًا إلى مصادر مؤكدة.

ولكن نودّ أن نطرح تساؤلات عمّا يبدو منه من تخبط لا يليق برئيس أو مناضل في مثل سنّه بعد عُمْر وعديد تجارب ومعارك سياسية خاضها مع أبناء حركته (فتح) والفصائل الأخرى، والجلسات المريرة التي عقدها مع المحتلّين الصهاينة في أصقاع شتّى من العالم بما فيها القدس المحتلة كعربون ليكسب ثقتهم .. فاوض وفاوض في الغرف المغلقة حتّى وقّع اتفاق أوسلو حول إقامة سَلْطَة على الضفة الغربية وقطاع غزة لتتحول إلى غزّة-أريحا أولاً وهنا كان الفخ الكبير الذي وقع فيه الزعيم عرفات نتيجة الضغوط الكبيرة التي مورست عليه من طرف دول الاعتلال العربي ورفعِه شعار (سِلْم الشجعان) لتدخل بذلك القضية الفلسطينية دهاليز المفاوضات العلنية والسرّية، وتُباع كلّ-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلسطين بفلس-طينٍ ويصبح الفلسطيني تحت رحمة رواتب الصدقات الخارجية والإعانات الدولية ومُطالب بالتخلّي عن مقاومته المسلحة الشرعية .. ولو رجع عبّاس ومَن على شاكلته النفسية والفكرية إلى نبراس الثورات المعاصرة؛ الثورة الجزائرية لوجدوا أنّ قيادتها الحكيمة رفَضتْ عرضَ الجنرال ديغول تأسيس سلطة جزائرية في الأرض تحت مظلة المستعمر بشعار (سِلْم الشجعان). وتفضيل القيادة الجزائرية أن يبقى جانبها السياسي كحكومة مؤقتة في القاهرة ثم في تونس بجهاز إداري قليل العدد يتلقى أفراده مرتبات متواضعة من ميزانية الحكومة المؤقتة المتأتية من تبرعات الجزائريين والحكومات العربية، مع استمرار المقاومة المسلحة.

بعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية وأدائها اليمين الدستورية أمام عبّاس، أرادت القيادة الصهيونية أن تفشل مشروع الوحدة الفلسطينية الوليدة افتعلت مبررات وأعلنت حربًا شعواء على أهل غزّة، وبرغم الألم فقد استبشر كلّ المتتبعين خيرا بلقاء القيادتين الفتحاوية والحمساوية برئاسة عباس ومشعل، واعتبروا أنّ عقدة عبّاس من المقاومة المسلحة وحماس بالذات قد انحلت وطريق الوحدة أصبح معبّدا، وهم لا يدرون أنّ عباس قال لمشعل في ذلك اللقاء: "حماس بدها تجنني"!!!.

وبعد واحد وخمسين يوما من القتال، كانت الغلبة للمقاومة الفلسطينية المسلحة في غزة، بنصر عزيز مؤزر هزّ أركان المحتل؛ وهذا باعترافه. وما أنْ خرج الفلسطينيون في كلّ مكان (غزة والضفة والقدس والشتات ...) فرحين بإنجاز المقاومة ومعنوياتهم إلى السماء، حتّى بدأت أبواق الانهزاميين تقلل من قيمة النصر وتتفخ وتكيل الاتهامات للمقاومة بتسببها في مقتل أكثر من ألفي فلسطيني وجرح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكثر من 10 آلاف ودمار هائل، وبرز عباس بقوله: "أنّه تلقّى معلومات أكيدة من رئيس جهاز الشاباك (المخابرات الداخلية الإسرائيلية) أنّ حماس ترتب "انقلابا" للإطاحة به وسلطته، بناء على معلومات مقتنع بها تماما" .. وأخذت أخبار ملاحقة الأجهزة الأمنية بالضفة للشباب المنتفض عن الوضع البائس الذي وصلوا إليه والمهانة والإذلال الذي يتعرضون له من الصهاينة في كلّ منطقة ونقطة من الضفة الغربية، الشباب الذي رسمت المقاومة على وجهه فرحة قرب الخلاص من المحتل اللعين وأخذ يهتف باسم المقاومة المسلحة ويدعوها للضفة. هذه الصورة في الضفة نعتقدُ أنّها حرّكت عباس ذعرا وخوفا من أنْ ينتقض الوعد الذي قطعه على نفسه سابقا بأنّه "لن يسمح بحصول انتفاضة جديدة ضد الكيان اليهودي أو استخدام السلاح ضده ما دام هو جالس على الكرسي"!!! وتُؤكّد عدم انفكاك عبّاس من عقدة حماس.

المقاومة المسلحة وعبر التاريخ تقع في أخطاء نتيجة الظروف المحيطة وأحيانا سوء التقدير، لكنّها ما وقّعت تنازلا عن أرض وعرض ودماء وحقوق هي لشعبها رغم كلّ المساومات، وهذا ما قامت به المقاومة الفلسطينية المسلحة الأصيلة رغم سلسلة الاغتيالات والاعتقالات والفضائع المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني .. غير المفهوم بعد عشرين سنة من وجود سَلَطَة أوسلو بالضفة لماذا يصرّ عبّاس وهو مَنْ صرَّح: "المفاوضات فشلت، 20 سنة نفاوض على حدود 67 ولم نتقدم خطوة واحدة" على الاستمرار في المفاوضات، ويثق في الإسرائليين رغم نكثهم بكلّ العهود، بينما يتنازل ويصرح: "بأنه لا يريد أن يعود إلى صفد لأنه ليس من حقه العودة اليها والعيش فيها لآن فلسطين فقط هي حدود الضفة الغربية وقطاع غزة والى الأبد"، ويقول عن حماس: "لا يوجد فيهم ثقة والعمل معهم لا يؤدّي لنتيجة، أنا لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أستطيع الاستمرار بالعمل معهم" ، ورفض الخيار المسلح الذي أعلنه الرنتيسي والمقاومة بأنّ سلاحهم هو وسيلة للحوار، وهو نفس الموقف الذي أعلنه الشهيد العربي بن مهيدي في ليلة الفاتح نوفمبر بثقة وتصميم: **"إخواني سنجعل البارود يتكلم نيابة عنا"** وقد أثبت جدواه وفصاحته وبلاغته فأذعن المحتل الفرنسي.

إنّ العُقَد صعبة الانحلال وخاصة النفسية ومن بينها عقدة عباس من حماس، ولا أمل بعد الله إلا في أنْ يصبح تفكير عباس وحماس كتفكير العربي بن مهيدي الذي قابل الجنرال بيجار حين قال له: "لم يبق لكم يا العربي شيء، نحن الأسياد، لقد صرنا نتحكم في مقر عملياتكم، أنتم صفر مُكعب" في موقف يريد به تحطيم معنوياته، فما كان من الشهيد البطل إلا أنْ يردّ عليه: **"أنت مخطئ يا جنرال، نحن نتغلب على الجيش الفرنسي بالحق و ليس بالسلاح، أنتم ستخسرون التاريخ"**.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حضارة تُهدم

أولا: هدم التعليم

يتحدث الدكتور "مهدي المَنْجرة" عن الحضارة فيقول: «إذا أردتَ أنْ تهدم حضارة أمة فهناك وسائل ثلاث هي: اهدم الأسرة، واهدم التعليم واسقط القدوات والمرجعيات.

لكي تهدم الأسرة، عليك بتغييب دور الأم اجعلها تخجل من وصفها ربّة بيت. ولكي تهدم التعليم، عليك بالمعلم لا تجعل له أهمية في المجتمع وقلّل من مكانته حتّى يحتقره طلاّبه. ولكي تسقط القُدوات، عليك بالعلماء اطعن فيهم حتّى لا يسمع لهم ولا يقتدي بهم أحد. فإذا اختفت الأم الواعية، واختفى المعلّم المخلص، وسقطت القدوة والمرجعية، فمن يربّي النشء على القيم».

نتناول ابتداء موضوع التعليم، فنرسل تحيّة خالصة للمعلّمين (الذين يمارسون مهنة التعليم بأطواره المختلفة ومن نذروا أنفسهم للتعليم تطوعا)؛ تحية ملؤها التقدير والاحترام والشكر والافتخار لتلك الثلّة التي مازال يَصْدُقُ فيها مصطلح "المعلّم".

اليوم، الكلّ؛ التلاميذ والأولياء والمسئولون وغير المسئولين يحمّلون المعلّم مسؤولية تدنِّي المستوى التعليمي والتربوي للنشء (المتمدرسون والطلاّب) ويحمّلونه إيّاها كاملة، دون النظر إلى الواقع الذي يعيشه أو يعمل فيه، وبدون بحث وتدقيق حول الأسباب الموضوعية التي تحيط بالعملية التعليمية برمّتها .. ولسان مقالهم وحالهم يقول هو كلّ شيء وهو المسئول!!!، لأنّه هو مَن يلقّنهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منذ أنْ خلق الله عز وجلّ سيدنا آدم عليه السلام وعلّمه الأسماء كلّها، والبشرية تتلقى العلم من طرف إلى آخر، وكلّ من يساهم في محو الأمية وتثقيف الإنسان وإعطائه المعارف يسمّى معلّما، حتّى سمّى اليونان فيلسوفهم "أرسطو" بـ"المعلم" لعلو مكانته عندهم. ونحن المسلمون نقول عن النبيّ محمّد ﷺ "المعلّم" لعلّو مكانته وسمو رسالته التي قدّمها للبشرية جمعاء لإخراجها من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم .. وظلّت مكانة المعلّم في علياءها على مدى قرون، وإلى زمن قريب، ورحم الله الأدباء الأصلاء، الذين علموا للمعلّم مكانته وأذنوا في النّاس على لسان أحمد شوقي:

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّـــــهِ التَبجيـــــلا
كادَ المُعَلِّمُ أن يَكونَ رَسولا
أعَلِمتَ أشرَفَ أو أجَلَّ مِنَ الَّذي
يَبني وَيُنشِئُ أنفُساً وَعُقولا

نعم لقد كان المعلّم يَلْقَى التبجيل ويحظى بالتشريف، لا لأنّه فلان ابن فلان، ولكن لأنّه يبني ويُنشئ ما كان قيمة مميّزة للبشرية؛ النفوس والعقول. ولا يمكن بناء هذا الإنسان ليكون لَبِنة صالحة وعنصرا فاعلا وأداة تنمية وتحضر ما لم يكن المعلّم في حدّ ذاته مصقولا بتربية تحرزه من تحويل مهمته الرسالية إلى وسيلة لتلبية الوظائف البيولوجية .. وهذا ما جعل السؤال المطروح: هل معلّم اليوم هو المعلم الذي قصده شوقي؟ وهل يحمل من المعارف العلمية والتربوية والسلوكية ما يؤهله لأن يتبوّأ هذه المكانة؟ وإذا كان الجواب بـ:لا، فمن المسئول عن تبوّئه هذا المقام؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متيقّنون أنّ مُهمَّة التعليم ليست بالسهولة التي يعتقدها مَن هم خارج العملية التعليمية، وهذا ما جعل "إبراهيم طوقان" يردّ على أبيات شوقي بقوله:

شَوْقِي يَقُولُ وَمَا دَرَى بِمُصِيبَتِي
قُـــــمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّـهِ التَّبْجِيــلا
اقْــعُدْ فَدَيْـتُكَ هَلْ يَكُونُ مُبَـجَّــلاً
مَنْ كَانَ لِلنَشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلا
وَيَــكَادُ يَقْلِقُنِي الأَمِيـــرُ بِقَــوْلِـهِ
كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَـــكُونَ رَسُولا
لَوْ جَــرَّبَ النَّعْـلِيمَ شَوْقِي سَاعَةً
لَقَضَى الْحَيَاةَ شَقَاوَةً وَخُــمُولا
حَسْــب الْمُــعَلِّمِ غُــمَّةً وَكَـآبَــةً
مَــرْأَى الدَّفَاتِرِ بُكْـرَةً وَأَصِيلا

إلى أنْ قال:

فَأَرَى (حِمَاراً) بَعْدَ ذَلِكَ كُلّه
رَفَعَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ وَالْمَفْعُول

ولو عاش طوقان لشخُص بصره من غرائب ما يرى، ولَمَاتَ حِين يسمع أحْمِرَةً تُحْسِن النعيق والنقيق بدل النهيق.

نُدرك أنّ جمْعٌ ممّن انتسبوا للتعليم وعُدُّوا "معلمين" قد ساهموا ويساهمون إلى الآن بطريقة أو بأخرى في عدم جعل أهمية للمعلّم في المجتمع، وأطراف أخرى كثيرة من مكوّنات المجتمع تقلّل من مكانته حتّى يحتقره تلاميذه وطلاّبه، وبذلك يُساهم الجميع في ضياع النشء والأجيال، وهدم الحضارة التي ينشدها الوطن وكتب عنها مالكٌ المفكر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

.. فمتى سيعي الجميع أنّ الحضارة ليست ظهْرٌ يُمتطَى ولا أثرٌ يُقتفَى وإنما علم يُجتبَى وتربية على هُدَى، وأنّ سفينة الوطن لا يمكن أنْ تصمد وهي تمخر عباب البحار العاتية دون طاقم متعلّم يقودهم ربّان عالمٌ.

ثانيا: هدم الأسرة

انطلقنا في المقال السابق في الحديث عن هدم الحضارة من خلال مقولة الدكتور "مهدي المنجرة": «إذا أردتَ أنْ تهدم حضارةَ أمّة فهناك وسائل ثلاثة هي: اهدم الأسرة، واهدم التعليم، وأسقط القُدْوات والمرجعيات».

وابتدأنا الحديث أولاً عن التعليم، ونستكمله ثانيا بموضوع "هدم الأسرة"، الذي قال فيه: «لكي تهدم الأسرة، عليك بتغييب دور الأم، اجعلها تخجل من وصفها ربّة بيت».

"ربّة بيت" عبارة تدلّ على معان قيّمة تُسهم بدون أدنى شك في تربية النشء على القيم الفاضلة التي تحي بها الأمم وتُبنى بها الحضارات .. فالربّ في اللغة هو مالك الشيء وصاحبه، وربّة البيت هي ملكته ولها حق القرار فيه، فهو مملكتها الخاصة تسعد بالوجود فيه والأنس بكلّ ما فيه، وهذا ما جعل الجارية "ربابة" قديما، تطرب حين داعبها بشار بن بُرد ببيتين من الشعر قائلًا:

ربابــة ربّـةُ البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجاتٍ وديـك حسن الصوت

وحين قيل له ما هذه الأبيات؟ لم يكن مخطئا بقوله: لو ذهبتم لربابة وسألتموها أيّ الأبيات لديها أجمل أبيات ربابة أم بيت:

قِفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسقط اللواء بين الدخول فحومل

فإنها لن تقول إلا ربابة ربة البيت!! هذا هو التفكير السليم، لأنّ ربابة تتسجم مع ذاتها، وتشعر بالقرار والراحة وهي تقوم على شؤونها بنفسها، وبالتالي لا تخجل حين توصف بأنّها ربّة بيت، بل تطرب!!

الأمُّ، لا قيمة لها ما لم تكن "ربّة البيت"، التي تحسن التبعل لزوجها فيروح ويغدو أسعد النّاس، وتقوم على بيتها؛ فتخبز وتطعم، وتفرش وتغطّي، وتغسل وتخيط، وعلى أبنائها؛ فتتصح وتوجه، وتهدهد وتحنو، وتراعي أحوالهم وتقوم على تعليمهم .. هذه هي الأمّ المدْرَسَةُ التي تبني الأسرة، وصدق حافظ إبراهيم بقوله:

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيّب الأعراق.

أمّا أن تكون الأمّ ربّة السوق أو القسم أو العيادة أو المكتب أو ... فهذا لا ينسجم مع القيم التي تبني المجتمع الحضاري، وليس المقال هنا حول عمل المرأة لأنّ الأمّ منذ القدم تصنع الفَخَارَ بصناعة الفخّار وتعمل في الحقل (زراعة وتربية دواجن وأنعام و...) مع زوجها وأبنائها، بينهم وفي كنفهم مصونة محمية من الأغراب، لا متنقلة من مكان إلى آخر وسط الازدحام والاحتكاك وبذيء الألفاظ، أو تجدها من متجر إلى متجر (بزناسة أواني وأقمشة وثياب ...).

لقد استطاع الغرب وهو يعمل على هدم حضارتنا التي شعَّتْ أنوارها في كلّ الأقطار والأمصار أن ينشر ثقافته المادية في المجتمعات المحافظة، لتصبح كماليات الحياة من ضرورياتها التي تحوّل الأمّ من "ربّة بيت" إلى "تِبْرُ بيت" سريع الاشتعال والاحتراق؛ يريد منها الزوج والأبناء ما تحوزه من دراهم ونقود وكلّ مادي مفقود، وإنْ لم تفعل صدر ضدّها الوعيد وأُغْرِيتْ بالمعسول من الوعود .. فتنهك قواها بين داخل البيت وخارجه وتمتهن أنوثتها وكرامتها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّ ما نراه اليوم من تفلت في الجوانب التربوية وتسيب في الأواصر العائلية لهو نتيجة انفكاك في العلاقات الأسرية التي أصبح يغلب على اهتماماتها الجوانب المادية؛ فاشتغل وانشغل الأب بُكْرة وأصيلا واغتمّ ليلا طويلا، وبات مهموما عليلا، وأدّى عدم الرضا والقناعة إلى فِطَام الوليد مبَكّرًا عن الرضاعة .. وأذكر أنّ أحد الأطفال بعد أنْ أنجبت أمّه "المعلّمة" أخاه قال لها: "ربِّي أنتِ أخي الصغير ولا تتركيه عند الجيران مثلي"، جُمْلةٌ دالة على التأثيرات النفسية التي تصيب النشء، ليتحول إلى عامل انكسار وهدم للأسرة.

إنّ المرأة مع الرجل يشكّلان قُطْبَا الإنسانية، ولا حضارة لها ما لم تكن الأسرة مستقرة ومحافظة على كيانها، ولنْ يكون هذا ما لم تكن الأمّ "ربّة بيت" .. لا نقصد هنا العودة إلى التقاليد البالية التي كانت سائدة وتجعل المرأة سجينة بين بيت أبيها وبيت زوجها حتّى توضع في قبرها، وأسِيرةَ أفهامٍ سقيمة تُحجّم دورها وتقتل عقلها وتكسر قلبها وتستهجن رأيها .. وفي نفس الوقت لا نريد للمرأة أن تسير في ركب التقاليد الغربية الوافدة، التي جعلت منها ملصقة إشهارية ومخلوقة شيطانية، متعة للأهواء ودمية للإغراء والإغواء، تأخذ مساحات واسعة من واجبات الرجال وتضرب له حيث كان الحِجال .. إنّ العاقلين والعاقلات في المجتمع الغربي عرفوا خطورة تحوّل المرأة عن دورها الطبيعي وسط الأسرة وازدرائها بكونها ربّة بيت، وهم ينادون اليوم بعودتها إلى بيتها وتقوم بواجباتها وأسسوا لها جمعيات.

والنداء اليوم، لندرك قيمة "ربّة البيت" المتعلّمة، المحافظة على قيَمِها وثقافتها، الواعية برسالتها، المدركة لمسؤولياتها، القائمة بواجباتها، لنكسب رهان الأسرة، فيغدو مجتمعنا متحضرا بعيدا عن الشغب والعنف والآفات والجهل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا: إسقاط القدوات

نُنهي حديثنا في سلسلة "حضارة تُهدم" الذين أسسناه على حديث الدكتور "مهدي المنجرة" عن الحضارة، بموضوعٍ من الخطورة بمكان؛ **إسقاط القدْوات والمرجعيات**، التي تشكل مع هدم الأسرة وهدم التعليم، قاصمة ظهر المجتمع والأمة صاحبة التاريخ والحضارة.

قبل معرفة القدوات، نلفت الانتباه إلى كلمة "إسقاط" التي تدلّ على تعمُّد وقصد - مع سبق الإصرار والترصد كما يقول أهل القانون في الجرائم العمد - الفعل أي الدَّفعُ للسقوط، والإسقاط مصدر لفعل "سقط" الذي لا يكون إلا من مكان مرتفعٍ عالٍ؛ يُلفتُ الانتباه ويشدّ الأبصار وخاصة إذا كان ذو طبيعة خلاّبة وشكل مميَّز، ويأخذ بالألباب إذا كان ساحرا ويصبح على طرف الألسن.

أمّا القدوات فهي جمع قدوة؛ وهو النموذج الذي يُقتدى به ويُتبعُ خطواته، فهو بمثابة المثال الرمز صاحب الخصائص النموذجية التي يحتاجها سالك طريقه ومتتبع أثره. والمرجعيات جمع مرجع؛ وهو مَنْ يُرجع إليه في طلب علم أو اقتفاء أثر، مثله مثل القدوة .. والحقيقة أنّ كلّ قُدوة مرجع.

القدوات يُنزلون مقامًا سامٍ وعالٍ، وتأثيرهم ذو بالٍ، حتّى لو كانوا منْ صنع خيالٍ، فما بالك وهم من القوم؛ الأشرف علما والأحسن سلوكًا وخُلقا، والأجرء والأشجع إقداما، وبما يصلحهم أكثر إلمامًا، والأقدر قيادة وزمامًا، تغدو عليهم الأمّة تأخذ عنهم من العلم العسل المصفى ومن العمل السلوك المنقّى، فيروح الأفراد نَحْلاً مُزكّى، يسبّح الكلّ بحمد ربهم على ما تفضّل وأعطى .. هل أدركنا لماذا "إسقاط القدوات والمرجعيات"؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلّ الحضارات التي قامت – ما قبل التاريخ وما بعده إلى اليوم-، قامت فيها مرجعيات؛ دينية، فكرية، عسكرية، وسياسية، و... كانت ملهمة لأمتّها، باعثة لنهضتها، رافعة لها من كبوتها، معرّفة بمكامن قوّتها، لم تُثنها جبالُ العراقيل أو العواصف الهوجاء أو المؤامرات السوداء عن الوقوف بشموخ وثبات .. فنالت بذلك مَقامَ القُدوة والمَرجِع.

الأصل في أفراد المجتمع المتحضر أنْ يكون الكلّ قدوة، فالوالد قدوة، والمربّي قدوة، والتاجر والصناعي قدوة، والمسيِّر قدوة و... ، لكن أهم القدوات والمرجعيات واقدرها على النهوض بالأمة هم العلماء ولا عجب. فلا ريب أنْ يكون أرسطو اليونان إلى اليوم مرجعا لدى الغرب، ويَحتفي أهله بالعلماء في كلّ ميادين العلوم، ينهضون بهم وينزلونهم منازل أكرم الأكرمين، فلا ينزلون على رأي ذا بال إلاّ بعد استشارتهم والاسترشاد برأيهم والأخذ به، حتّى إذا ماتوا صنعوا لهم تماثيل تذكّر الأجيال بهم .. ولأنّهم علموا أهميتهم وضرورتهم في أية نهضة وحضارة فهم يعملون بوسائل عدّة من أجل إسقاط القدوات والمرجعيات الدينية والفكرية التي صنعت الحضارة على مدار قرون في الوطن الإسلامي وأصقاع المعمورة، بوسائل شتّى؛ أحابيلَ شياطينَ الإنس والجنِّ، وسحرة الفراعنة فمن وقعوا في أيديهم وتحوّلت كروموزومات خلايا تفكيرهم ونطقوا على هواهم وساروا وِفقَ توجهاتهم فقد سقطوا وأصبحوا منهم، ومَنْ آثروا أمّتهم وعقيدتهم ووقفوا في الهدم تجد الأضواء مسلّطة عليهم والسهام مُصَوَّبة نحوهم والسياط تجلد ظهورهم، تُظهر زلّاتهم جريمة تستحق السحق والمحق.

لقد بنى المسلمون حضارة إنسانية راقية، كانت القدوات والمرجعيات نقطة ارتكاز مهمّة في هذا الصرح، ابتداء من النبي محمّد (ص) الذين كان نموذجا عمليا للتشريع الإلهي يمشي على الأرض،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استطاع بتأييد من الله أنْ يمتلك القلوب بصدقه وأمانته وخلقه، وقد عدّه الكاتب الأمريكي "مايكل هارت"، الشخصية الأولى والأكثر تأثيرا على مرّ التاريخ، وصرح الكاتب البريطاني "برنادشو" أنّ: "لو كان محمّدا بيننا لحلّ مشاكل العالم وهو يتناول فنجان قهوة"، ولهذا حاول مَنْ عادَوْه وعادَوْا منهجه قديما إلصاق التهم به فقالوا: ساحر أو مجنون و... وبالدين الذي جاء به وهم إلى اليوم يحاولون النيل منه، ولكن هيهات أن ينطفئ نور الإنسانية جمعاء.

ولأنّ نموذج محمد (ص) لن يتكرر فقد كان العلماء ورثة الأنبياء في المنهج وهم القدوات والمرجعيات التي تسير على منهجه، فهم المستهدفون اليوم في عملية الإسقاط، وإسقاطهم من مقامهم .. وقد استطاعت الخلافات غير المبرّرة والمؤامرات المُمَرَّرَة أنْ تُزَعزع تلك الصورة وتهز ذاك المقام، فغدت الرؤية العامة تجاههم ضبابية، يكتنفها الريب والشك الذي وصل إلى حدّ الرفض والانفضاض من حولهم، وطرح الاستفهام حول آرائهم وتصرفاتهم التي تساهم بدورها في إسقاط هذه القدوات والمرجعيات.

بكلّ مرارة يجب الاعتراف أنّ بناءَ حضارتنا أصابه شرخ كبير على المستويات الثلاث الأسرة و التعليم والمرجعيات .. فأين الأم الواعية، والمعلّم المخلص، والقدوة والمرجعية؟ ومَن يربّي النشء على القيم؟ ومَنْ ينهض ليشارك في منع بقايا حضارتنا من الهدم؟.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سنة هجرية مَضت .. وعام هجري مُرتقب

لا أشك أنّ قارئ العنوان سيتساءل: ما الفرق بين السنة والعام؟

إذْ لا يفرّق الكثيرون بينهما ويعدّونهما لفظتين مترادفتين تدلاّن على مرور حَوْلٍ من الزمن (اثنا عشر شهرا) .. ولمعرفة الفرق بينهما سأرسم للأمّة الإسلامية واقعا مضى وواقعا مُرتجى.

أمّا الواقع الذي مضى فهو واقع يغلب عليه الألم، والبؤس ويدفع للشفقة، منذ عقود كان الاستثمار الصليبي جاثما على أراضينا يقتل ويعتقل، يشرد وينفي، يسرق الحياة والثروات ويجتث الحريّة والثورات، يحطم الكتاتيب والمساجد ويبني المدارس والكنائس، يمحو كلّ أصيل وثابت في ثقافتنا ويكتب كلّ دخيل وهجين يُفتتنا .. وما أنْ استجاب القدر، وانجلى الليل وانكسر القيد حتّى وجدت الأمة الإسلامية نفسها وسط حقول قاتلة من الجهل والأميّة، والعمالة والدكتاتورية، قتلت فيها روح النهوض والتحضّر ومكّنتْ النكوص والتخصّر.

هذا الواقع يُرى واضحا في الحوْل الماضي؛ الدول الإسلامية تعاني من احتلال أو دجّال أو اقتتال، لا يختلفون في الفعل بل هم سواء، يقتلون على الهوية والانتماء، ويسرقون ويغتصبون على الملأ، يدمرون وينسفون الأشلاء، ألسنتهم شتّى ولكن لا تسمع إلاّ صليل الصوارم وزنّانات في الهواء، لغةً للتخاطب ودقًّا وغناء.

إحصائياتُ حولٍ مضى تقول أنّ نسبة الفقراء في العالم الاسلامي ارتفعت، واطّرادا ارتفعت نسبة المرضى وعدد الأمراض، ونسبة الأمية وعدد الجهلاء، نسبة الجريمة وعدد المشردّين واللقطاء، وطبيعي، أنْ تنخفض نسبة الإنتاج وعدد العمال النشطاء، ونسبة المقروئية وعدد المفكّرين والأدباء، ووو...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتّى الشيوخ، أغلبهم غاب عنهم الضوء أو الضياء، ولم يعد يهتم لحديثهم رجال أو نساء، فقراء وأغنياء، مَنْ شغف بهم بالأمس أصبح اليوم منهم براء، ويعدّ حديثهم هُراء، وأصبحوا من المغضوب عليهم أو في عِداد غير الأحياء، وانقلب بيت الشاعر:

من: قد أسمعْتَ لو ناديتَ حيّا ولكن لا حياة لمن تُنادي

إلى: قد أسْمَـــعَ لو كـــان حيّا ولكن لا حياة لمن يُنادي

هذه هي مواصفات السنة؛ كما قال الراغب: الغالب استعمال السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب، ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة.

على الرغم من أنّها سنة مضت ففيها من المؤشرات والمبشرات ما يجعلنا نرجو أنْ يكون الحولُ القادم عامٌ فيه يُغاث النّاس فيجتهدون .. ومعنى هذا أنّ العام ما فيه الرخاء والخصب.

والسنة لن تتحوّل إلى عام بأقوام نيامٍ، فكرهم في الخِيام، والصيد بالسهام، وأكلهم مع شرذمة الأنام، ولا يمكن التعويل في ذلك على آلهة الجدب ولا آلهة الخصب اليونانيتين، ولا على عبّاد الميلاد والفُصْح، ولكن على منهج صاحب الهجرة، فهو الذي حوّل أشتات العرب إلى أمّة مُوَحِّدة، ويثرب الأوس والخزرج وأحبار اليهود إلى مدينة مدنية مُوَحَّدة، يتعايش فيها الجميع في مؤاخاة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، وأسس الدولة القويّة التي بسطت سلطانها من مشارق الأرض إلى مغاربها على قيم العدل والمساواة "الضعيف فيكم قويّ عندي حتّى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتّى آخذ الحق منه".

لم تكن الهجرة هجرة موطن ضاق منه أصحابه، ولا من أجل موطن يتسع لأصحابه؛ لأنّ مكّة قبل البعثة وسعت الجميع، ولكن من أجل موطن تتسع فيه الصدور، فلا يُضام مواطن لدينه أو عرقه أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لونه، موطن يُنزل فيه النّاس منازلهم، الكفاءة معيار التقديم والتأخير، والإخلاص والتفاني في خدمته شامة على الجبين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نوفمبر الثورة

أولا: بيان البيان

الأمم والشعوب لها لحظة ميلاد ولها لحظات تحوّلٍ حاسمةٍ في مسار حياتها، تبقى نقاط مضيئة يُرجع إليها وتتذكّرها الأجيال وتُدوّنُ بماء الذهب. الشعب الجزائري في العصر الحديث صنع ثورة مجيدة مجد القيم التي قامت عليها والأهداف التي رمتْ لها، لا زالت إلى اليوم مفخرة له ومُلْهمة لغيره. إنّ ميلاد الثورة كان عسيرا بعد مخاض دام أكثر من قرن، قدّم الشعب فيه جُهده ومُهجه في ثورات متتالية هنا وهناك، ورغم كونها لم تكلل بالنجاح، إلاّ أنّها كانت محلّ تدبّر من جيل جديد آمن بحتمية الحرّية وأنْ لا مناص من أخذ زمام المبادرة وتقديم الضريبة، وفق رؤية واضحة وأهداف محدّدة يقتنع بها الشعب فيُعضّدها ويُيَسِّر لها سُبل بلوغ الهدف، فكان نداء أول نوفمبر 1954 بيان للكلمة الأولى.

لسنا هنا بوارد التطفل على التاريخ والتحقق ممّن كتب النداء وصاغه، ولكن بصدد **"بيان البيان"**، وهي محاولة لقراءة نصّ نداء أوّل نوفمبر وبيان دلالات الخطاب الموجه للشعب الجزائري والمناضلين من أجل القضية الوطنية، قراءة نستجلي منها عِبَرًا تُسهم في الإقلاع الحضاري من جديد.

الذين أطلقوا البيان (النداء) قالوا عن أنفسهم أنهم: "مجموعة من الشباب المسئولين المناضلين"، ويتبيّن هنا موقع الشباب المهم في صناعة التاريخ والأمجاد، فلا مبرّر لتخلّفهم عن تحملّ المسؤولية والنضال تحت أي شكل؛ حركة أو حزب، وبأي وسيلة؛ سياسية أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عسكرية، وهذا ما آمنتْ به طليعة شباب نوفمبر وأثبتته الأيام .. شباب وُلد من رحم المعاناة وذاق من العدو الويلات، تخرّج من زوايا العلم وكتاتيب القرآن، وانْضبط في العمل الكشفيِّ مع الفتيان، ثمّ انخرط في الحركة الوطنية بتفان، تشبّع من معنى الرجولة مبكّرا، وأصبح لهمُّ الاستقلال مفكّرا، ثمّ للعمل الميداني مُسَطِّرا.

والذين وُجّه لهم الخطاب؛ الشعب والمناضلين، هم المعنيون أساسا بقضية التحرر، وتقع على عاتقهم، فهم أصحاب الأرض، فلا ينتظروا من الآخر أيًّا كان أنْ يناضل ويدفع الثمن بدلا عنهم، وتوجيه الخطاب لهم تحريضا مباشرا على الانخراط فيها، وربطا لعلاقة متينة بين القيادة والقاعدة. وبهذا أتاحت الثورة للجميع؛ طبقات اجتماعية، وأحزاب سياسية، وحركات جزائرية، أن تَنْضَمّ للكفاح التحرري كلٌّ في موقعه، وبذلك كانت الثورة ثورة الشعب شعارا وفعلا.

ويتضح من خلال النداء أنّ القائمين عليه وَاعُون ومدركون جيّدا للأوضاع الداخلية التي يعيشها الشعب وجعلته "متحدًّا حول قضية الاستقلال والعمل"، والخارجية التي تحيط بالقضية الجزائرية وخاصة "أحداث المغرب وتونس" والانفراج النسبي في الموقف الدولي، ويرون أنّ الظرف مُناسب أكثر من أيّ وقت مضى للدفع نحو انطلاقة ثورية وعمل حقيقي وفعّال لكسب رهان معركة الاستقلال.

واعتبروا الوحدة نقطة بالغة الأهمية ولا سبيل لنجاح العمل الثوري إلاّ بها؛ الوحدة الهيكلية، ووحدة العمل والنضال، إذْ تبيّن لهم أنّ خطورة المرحلة ناتجة عن "المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص"، فنأوا بأنفسهم عن الأطراف المتنازعة عن سلطة غير موجودة أصلا، وأعلنوا الاستقلال التام عليهم، وارتفعوا في خطابهم عن كلّ ما من شأنه أن يقسّم الصف الوطني من قدح وذم واتهامات أو ذكر للسلبيات،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووضعوا "كلّ الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة جانبا" واتجهوا في جبهة موحَّدة للتحرر الوطني. فكان هذا التوجه مساهما في زيادة اللحمة بين أطياف الشعب المختلفة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، كلّهم "خاوه".

كثيرا من الحركات تضيع تضحياتها بتشتت رؤيتها وخطّتها وجهودها، وتجنُّبًا لهذا المصير واعتبارا بسنوات الكفاح السلمي الذي لم ينل منه الشعب إلاّ التضييق، فقد حدّدت الحركة الثورية الوليدة هدفها جيّدا وضبطت بوصلتها تُجاه الاستعمار، فهي ضدّه وهو "العدو الوحيد"، كي لا تعتبر الأطراف الأخرى المناضلة هذا العمل موجّه ضدّها، فتضيع الجهود ذات اليمين وذات الشمال، ويستمر الاحتلال الفرنسي في الخنق والاستغلال، وتطول طريق التحرر والاستقلال.

إنّ النقاط التي وضَّحناها في بيان البيان، كانت ضرورية ومحدّدة الغاية، واختيار الكلمات والعبارات مدروسة بعناية، باعتبار أنّ الاحتلال الفرنسي سيسعى بكلّ قِواه وسيسخّر كل إمْكاناته من أجل أنْ يُلبس الحق بالباطل، ويدفع العملاء والانتهازيين للتشويش على الثورة والتشكيك فيها وفي جدواها. وكان لزاما كذلك أنْ تُوضِّح القيادة الشابة الخطوط العريضة لبرنامجها السياسي، وهذا ما كان في النداء وما سنتناوله لاحقا في **"بيان أهداف البيان"**.

ثانيا: بيان أهداف البيان

الثورة الجزائرية المعاصرة حركة تحررية تكتلت في جبهة موحدة ذابت فيها كلّ الحساسيات الجهوية والسياسية، فتوحدّ خطّها السياسي وعملها الميداني، وهذا ما يبدو جليّا في نداء (بيان) أول نوفمبر 1954، والخطوط العريضة للبرنامج السياسي الذي سطّرته. لفهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأبعاد التي سعت الثورة لتحقيقها سنحاول قراءة **"بيان أهداف البيان"** وكشف الأهداف التي رسمتها القيادة في نقاط محدّدة، وكانتْ تعبيرا عن قناعة الشعب الجزائري الأصيل. أملا في أنْ تحفظ أجيال الاستقلال الأمانة وتستكمل مسيرة الشهداء في تحقيق النقاط التي ما زالت عالقة، وفاءً لهم وحبًّا للوطن.

يبرز الهدف الرئيسي من الثورة في عبارة تحقيق "الاستقلال الوطني"؛ إذْ لا معنى لوجود شعبٍ أرضُه يمتلكها غيره، ينتفع بخيراتها ولا سيادة له عليها، مسلوب الإرادة، محكوم عليه بالتبعية لسلطة المحتل والاستسلام والرضوخ لنظامه وقوانينه. من هنا كان البند الأول الذي يحقق الاستقلال هو "إقامة الدولة الجزائرية"؛ وإقامة الدولة يعني استيفاء جميع أركانها المعروفة في القوانين الدولية: الأرض والشعب والسيادة، فكما لا معنى لأرض بلا شعب، فلا معنى لشعب بلا سيادة، وحدّد البيان الأرض "الجزائرية" بجغرافيتها وحدودها دون انتقاص لشبر منها، وتبيّن ذلك حين حاولت فرنسا اللعب على وتر الشمال والجنوب ورفض القيادة للمساس بوحدة التراب الوطني. أمّا السيادة الممارسة فتقتضي آلية تنظّمها وسكّة تسير عليها، فاختار البيان "الديمقراطية الاجتماعية" كوسيلة تمكّن الشعب من الاختيار؛ اختيار الأكفأ والأفضل الذي يقتنع به ليمارس من خلاله الحكم، الحكم الذي حدّد البيان إطاره "ضمن المبادئ الإسلامية"، وهي المبادئ الذي ظلّ الشعب الجزائري متمسكا بها ووفيّا لها منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

الإسلام الذي يمثل القلب النابض للشعب والهواء النقي الذي يستنشقه واللباس الذي يحميه من رياح السَّموم القاتلة التي جلبتها فرنسا معها، وحاولت بها اقتلاع الإسلام والعربية من كيان الشعب بتغيير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كروموزماته وجيناته وغسل مخه وطبيعة تفكيره الأصيل بزرع الكنائس والبابوات ونشر ثقافتها، واجتثاث الشعب من الأرض بالضغط عليه وتهجيره. وبالتالي كان لزاما التأكيد على أنْ تكون الدولة الجزائرية المنشودة أرض الإسلام وتستقي مبادئها من مبادئ الإسلام.

ومن المبادئ الأساسية التي بُنيَ عليها الإسلام "ما استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا؟"، ولا اكتمال لسيادة الشعب على أرضه دون تمكّنه من ممارسة حقوقه الأساسية بكلّ حرّية، كانت النقطة الثانية لتحقيق الاستقلال "احترام الحرّيات الأساسية دون تمييز عرقي أودييني"، وهي المعبّر عنها بحقوق المواطنة. وهو عامل مهمّ من عوامل الاستقرار والنجاح.

مرّت عدّة عقود أفرزت العديد من التجاذبات، وخللا في الرؤية والتفكير وبعض صور الفساد أقنعت القيادة أنّ الوصول إلى "الاستقلال الوطني" يقتضي "إعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي" فجعلت "التطهير السياسي" أوّل الأهداف الداخلية سعيا منها لـ: "القضاء على جميع مخلفات الفساد التي كانت عاملا هاما في التخلّف". ويقتضي كذلك هيكلة وتجميع "الطاقات السّلمية" وتنظيمها لاستغلالها بفعالية وربح رهان التعويل على الشّعب الجزائري في تصفية الاحتلال الفرنسي الاستدماري.

هذا على مستوى الجبهة الداخلية، وهي أرض المعركة الحقيقية. أمّا على مستوى الجبهة الخارجية، فقد سطرت القيادة أهدافا تعضّد وتقوّي العمل الداخلي الميداني. فعملت أولا على "تدويل القضية الجزائرية"، لخلق ضغط دبلوماسي دولي وتوسيع التعريف بقضية النضال من أجلها الشعب في المحافل الدولية لتعرية فرنسا التي تدّعي الحفاظ على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقوق الإنسان واحترام المواثيق الدولية. أمّا في الإطار الإقليمي واستنادا إلى النضال المشترك ووحدة الدين والتاريخ وامتداد الجغرافيا الطبيعية، فقد كان "تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي" هدفا وعاملا مساعدا في دعم ومساندة القضية عموما والكفاح المسلح خصوصا، لتتمكن الثورة من مواصلة المسيرة. وبإدراج "إطار ميثاق الأمم المتحدة" في البيان تقدّمت القيادة السياسية خطوة نحو المجتمع الدولي وبالذات "الأمم التي تساند قضيتنا التحرّرية".

نعتقد بالحديث عن نداء الفاتح نوفمبر و**"بيان أهداف البيان"** في هذا الوقت بالذات، هو دعوة للتأمل والاعتبار ممّا حدث في الماضي وأدى إلى طمع فرنسا الصليبية فينا، وممّا يحدث الآن على المستوى الإقليمي والدولي والمخاطر المحدّقة والوحوش المتربصة التي تنتظر الفرصة السانحة للانقضاض .. ليس العيب أنْ نخطئ في تشخيص المرض ولكن العيب بل الجريمة أنْ نرى المرض يفتك بالجسد ونغض الطرف عنه حتّى يقتلنا وتبدو أمارات مؤامرات إمارات فلا نسعى بما فيه الكفاية لإفشالها وإبطالها حتّى تمزّقنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبور النفق بين 05 جويلية (1830-1962)

ترتبط مناسبات عدّة فيما بينها بتواريخ قد تحمل نفس الأيام من السنة، ولكن قد تكون قرون مرّت بينها، تواريخ تتدرج بين السواد والبياض أو الأحزان والأفراح، هذا ما ينطبق على الخامس جويلية من كلّ سنة ميلادية بالنسبة للجزائريين خصوصا والأمة الإسلامية عموما.

قد يتساءل البعض عن عدم دراية: ما دخلُ الأمّة الإسلامية؟ والجواب أنّ دولة الجزائر - التي كانت تابعة للخلافة العثمانية – كانت تملك أسطولا بحريا قويّا يجوب البحر الأبيض المتوسط، ولا تعبر فيه سفن الفِرنجة النصارى (فرنسا، بريطانيا، أمريكا، اسبانيا، ...) إلاّ وتدفع إتاوات العبور. فكان 05 جويلية 1830 تاريخ احتلال الجزائر وخيمًا على الأمّة الإسلامية لفقدانها مرتكزًا فعّالاً من مرتكزاتها الحربية الدفاعية.

أمّا بالنسبة للجزائر والجزائريين فقد كان الدخول في نفق طويل مظلم امتدّ 132 سنة (أي 59310 يوما، فكم ساعة يا تُرى؟؟) .. لا تسمح هذه الأسطر بكتابة بعض تفاصيل تواريخ عدّة؛ مثل 30 جانفي 1830 حين قرّرت الحكومة الفرنسية أن تبعث حملة ضدّ الجزائر، بحجّة واهية والمعروفة بحادثة المروحة، والحجج الحقيقية كما ذكرها المؤرخ أبو القاسم سعد الله هي: زيادة شعبية نظام الملك شارل العاشر، والفرار من دفع دين كانت الجزائر قد أعطته إلى فرنسا بدون فائدة عام 1797، ومزاحمة بريطانيا -خصوصا- على خلق امبراطورية جديدة. والذي نضيفه ولم يذكره سعد الله هنا، أنّ من أسباب الاحتلال هو العامل الديني الذي لم يُصَرَّح به إلاّ بعد سنتين من الاحتلال، حين أفْصَح سكرتير الحاكم الفرنسي سنة 1832 قائلا: "إنّ آخر أيّام الإسلام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إلهٌ غير **المسيح**، ونحن إذا أمكننا أنْ نشكّ في أنّ هذه **الأرض تملكها فرنسا**، فلا يمكننا أنْ نشكّ على أي حال بأنّها قد **ضاعتْ من الإسلام إلى الأبد"** !!!، وكذلك ما صرّح به الكاردينال "لافيجيري" في قوله: "علينا أنْ نخلّص هذا الشعب – الجزائري – ونحرّره من قرآنه، وعلينا أنْ نُعْنَى على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شبّ عليها أجدادهم، فإنّ واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"!!!.وهنا ينكشف حقيقة العالم المتحضر؛ سلب الأرض من الشعب، وسلب الشعب من الأرض بتغيير دينه من الإسلام إلى أتباع المسيح، وتحريره من قيد قرآنه إلى إنجيله الفسيح، وإلاّ فالنفي واضح وصريح!! واعجباه واعجباه!!!

وقدّم الاحتلال الفرنسي نفسه للجزائريين على أنّهم محرّرون لا منتصرون، يستهدفون تحريرهم من خلال القضاء على "الطاغية" الداي حسين، وأنّ كلّ الممتلكات، وقضايا الأسرة، والبلاد نفسها ستبقى في يدّ الجزائريين، وأنّ المساجد وأماكن العبادة ستحترم بصفة نافذ، وأنّ الفرنسيين سيحررون الجزائر من الطغيان التركي!! .. لقد كان الفرنسيون عند نواياهم السيئة الخبيثة لا تصريحاتهم وعهودهم المدوّنة في الوثيقة؛ فبقرار رسمي سنة 1834 أصبحت الجزائر **"أرض فرنسية"** لا سيادة فيه إلاّ للحاكم العام وللجيش الفرنسي التصرف بكلّ حرّية وفق ما يراه على الأرض، والمساجد والزوايا إمّا دُمِّرت أو أُغلِقت أو حُوِّلتْ إلى اسطبلاّت، واللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية .. وتخطوا وتعدّوا كلّ الحدود التي رسموها هم في وثيقة الاستسلام، وشَاهِدُنا هو لُجنتهم التي شكّلوها للتحقيق وكتبتْ الآتي: لقد حطَّمْنا ممتلكات المؤسسات الدينية، وجرّدنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض، وذبحنا أناسا كانوا يحملون عهد الأمان، وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القدّيسين في بلادهم لأنّهم كانوا شجعانا"، ألا يكفي هذا لمعرفة حقيقة حضارة القيم الغربية، ومعاني التحرير والتحرّر في الثقافة الانجيلية المعاصرة؟؟

حتّى لو سلّمنا بفكرة مالك ابن نبي في نظرته للعامل الداخلي فيما سمّاه "القابلية للاستعمار" في بعض جوانب الدولة الجزائرية سنة 1830، فالحق يجب أنْ يُقال، أنّه ومنذ اليوم الأوّل قام غالبية الشعب الجزائري بثورات عِدّة قدّم فيها الدماء والأموال وضحّى بكلّ ما يملك ورفض الاستسلام والخنوع وحاول ردّ المحتل الفرنسي عن أرضه، لكن تشتت الجهد المقاوم وموازين القِوى التي لم تكن لصالحه وغيرها، كانت عوامل مكوث الاحتلال الفرنسي إلى غاية نيل الاستقلال في 05 جويلية 1962.

إنّ الذاكرة الحيّة لازالت تحتفظ بصور الشبّان المجاهدين الأبطال الذين انطلقوا في الفاتح نوفمبر 1954 لتحرير الوطن (الأرض والإنسان واللسان)، صورهم وهم يرمون الرصاص ويزرعون العبوات، ويقطعون الأسلاك الشائكة ويهاجمون المدرّعات، يتسلّقون الجبال ويعبرون الوديان ويتواصلون عبر الفيافي والصحاري، مُقبلين غير مدبرين .. صورهم في السجون، بين لحظات الموت أو الجنون، تقتلع أظافرهم وتحرق صدورهم، وقطع اللحم على السوط من ظهورهم .. وصورهم وهم مبتسمون أبرارا شهداء، مزيّنة ثيابهم بحمرة الدّماء، وقد قدّموا ما عليهم وأفضوا إلى ربّ السماء .. صور جوع الأطفال والرجال، وعجين العجائز يُخبز ليأكله الأبطال .. أمّا كاميرا الشباب اليوم فلم ترق بعد إلى تضحيات أولئك العظام لتصوّر لنا وللأجيال أفلامَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإعلام والأبطالِ والأبرارِ والقادةِ العظامِ ليكونوا نبراسا، بدل المقالب الهزلية الهزيلة المضحكة المبكية التي تصنع الرداءة والبذاءة.

لقد رحلتْ جيوش فرنسا عن أرض الجزائر في 05 جويلية 1962، بعد سبع سنوات شاب منها حتّى الوِلْدَان، وخرجنا من النفق المظلم، لكن السمّ الذي حقنته ما زال يسري ويؤلم، والجذام الذي أصابتنا به لم نشف منه بعد .. حين دخلت فرنسا للجزائر كانت نسبة الأميّة تكاد تكون معدومة وخرجت منها ونسبتها تقارب 93% جزء كبير منها جانبَ لسانه هويّته، وغنمت خزائنها المملوءة - اتهم بعضهم البعض بسرقتها- وتركتها فارغة مدينة، دخلت الجزائر وأهلها في صحّة ومعافاة وخرجت منها وبها آلاف الأرامل والأيتام والمعوقين والمعطوبين والمشرّدين والمفقودين.

تذكُّرُ الماضي وإبقاء الذاكرة حيّة واجب أخلاقي تجاه مآثر أسلافنا التليد وتاريخ أمّتنا المجيد، أمّا البكاء على ما فيه من مآس وأحزان فلا يعدو أنْ يكون صيحة في وادٍ أو نفخ في رمادٍ لأنّه لن يفيد، والواجب اليوم الأكيد، هو التأمل في حالنا والتبصر إلى مستقبلنا والعمل على إتمام نجاح ثورتنا وتقوية عناصر هويّتنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

امرأة العيد

عزيزي القارئ لا تستعجل وتقل أنّ هناك خطأ مطبعيا في العنوان .. لا لا لا .. أنا قصدتُ "امرأة العيد" لا "عيد المرأة".

إنّ التقديم والتأخير في اللغة العربية يفعل فعله، في تغيير المعنى ودرجة الاهتمام .. فرق أنْ تكون المرأة مبتدأ في قولنا: امرأة العيد، وأنْ تكون خبرا في قولنا: عيد المرأة .. فالأول يعني انصباب اهتمامنا على المرأة، أمّا في الثاني فيعني انصبابه على العيد .. وشتّان بين هذا وذاك!!!

في المبتدأ وبالعودة إلى أصالتنا سواء على سفوح جبال مازيغ أو سهول القبائل الصغرى أو في فيافي صحارينا المترامية، نجد المرأة كانت درّة مصونة وجوهرة مكنونة، وفي سبيل حمايتها والذود عنها كلّ قبيلة مجنونة .. كانت المرأة تُنسب للرجل مهما كان اسمه، وليكن اسمه "العيد" مثلا، فيُقال امرأة العيد وابنة العيد وأخت العيد، كانت هي المبتدأ الذي يحتضن الأسرة، ويربي الأجيال، ويخرّج الرجال.

كانت دوما في عيد وهي تشعر بالأمن والأمان في كنف "العيد"، تحبّ فيه القِوامة والفحولة، وتكره منه كلّ ما يشين الرجولة، سعادتها غامرة، وبالها مرتاح، خيمتها عامرة لا تهزها الرياح، لا تبالي عنده بصهيل ولا نباح .. كيف لا، و"العيد" يضمن لها حقوقها وهي تؤدّي في كلّ سترٍ واجباتها، لا يطالبها بالخروج للعمل، ولا أنْ تركب حمارًا ولا جمل، يجلب لها الغذاء والكساء، ويموت دونها في كبرياء.

وحينما نطلّ على الضفة الشمالية في القرون القريبة، كانت جنس المرأة غير معروف؛ إنسان أم حيوان؟! ولهذا أُعتبرتْ آلة ولم تحضى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالآلة ولا الجلالة، وقيل لها: لا حق في الحياة ومصيرك الجوع والممات، إنْ لم تشتغلي في المصانع وراء الآلات، وتنظفي الشوارع وتجمعي القمامات، وتعمّري المراقد والحانات!! فخرجتْ مُكرهة مُرغمة لتجلِبَ لقمة العيش .. فوجدت الرجل الأبيض الرأسمالي قد تحول إلى وحش ذو مخالب، فرفعت بتاريخ 08 مارس 1857 في مظاهرة حاشدة عدّة مطالب، منها تحديد ساعات العمل (10ساعات بدل 16 ساعة في اليوم)، والمساواة المدنية بين المرأة والرجل، وتحصلتْ سنة 1910 على عيد سمّي "اليوم العالمي للمرأة" .. ولكن هل تحقق للمرأة الغربية الرّاحة والاستقرار، وتخلّصت من الضغوط النفسية والاجتماعية؟ الواقع يقول: "لا"، ولنقرأ الشكاوى والنسب التي تقدّمها المرأة الغربية عن الانتحار والاستغلال والتحرش والاغتصاب والخيانة و... لا نُنْكر أنّ المرأة الغربية تجلس على كثير من الكراسي الرسمية (رئيسة ووزيرة ووالية...) وجلبت بكفاحها بعض حقوقها المهضومة، ولكنها في المقابل تعاني من تفكك داخلي في ذاتها، وقد أصبحت العلاقات الفردية بدون ضوابط (boy and girl) أفضل من الزواج الرسمي وتكوين الأسرة المأوى الطبيعي لها.

وإذا كان احتفال المرأة الغربية بعيدها العالمي مُبرَّرًا لها، فما بال احتفال المرأة عندنا؟ نُقرُّ أنّ جهالات فكرية أصابت أمتنا الإسلامية منذ زمن غير بعيد، ليقول قائل: المرأة من بيت أبيها إلى بيت زوجها ومنه إلى قبرها، فتُركتْ بدون تعليم ولا تثقيف، تجهل دينها كما تجهل تسيير أمور دنياها، وهُضمت بعض من حقوقها .. في المقابل نعتقد أنّ موروثنا الديني حضاري بامتياز، كرّم المرأة أيّما تكريم، فجعل "الجنة تحت أقدام الأمهات" وحث على الاعتناء بالبنات والأخوات؛ "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ أوْ ثَلاثُ أخَوَاتٍ أوْ ابْنَتَانِ أوْ أُخْتَانِ فَأحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ"، وإكرام الزوجات ومراعاة ضعفهنّ "اسْتَوْصُوا بالنّساءِ خيرًا، فإنّهن عوان عندكم"، وبهذا حثّ "العيد" على أنْ يكون رجلا ويتحمّل مسؤوليته كاملة؛ "كلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيته"، ووجّه المرأة إلى أنْ تكون حقًّا امرأة العيد؛ "المرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها".

الأصل في المرأة عندنا أنْ تُطالب بالرجوع إلى القيم الدينية الأصيلة التي وهبت لها الحياة حين كانت موءودة، ووصل لها الحقوق حين كانت مقطوعة، وأكرمها بـ: "العيد" وأكرمه بها .. لا أنْ تماري وتجاري مَن لم يضمنْ لها دينها حقّ الرعاية والعناية، وحرّضها عِيدُها على إطلاق العنان لرغباتها وشهواتها تدمّر به القيم وتفكك به الأُسَر والمجتمعات. وأنْ تكون المرأة جاهلة عند "العيد" خير ألف مرّة من أنْ تكون سافلة في عيد تعامل كالعبيد.

نعتقد جازمين أنّ كلّ امرأة تفكّر بفطرتها الأنثوية، وتحترم قيمها الدينية، إنْ خُيِّرت بين أنْ تكون "امرأة العيد" أو أنْ يكون لها يوما تحتفي فيه بالعيد، فإنّها ستختار الأول لما يمثّله في حياتها من قرار واستقرار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خمريات .. لاَ سُوزَانَ لها!!!

"الخمريات" مصطلح لنوع من الشعر يتغنّى بالخمرة مع القانيات والفجور، منذ العصر الجاهلي؛ يصرّح شُعراء الخمريات بحبّهم لها، و فيه دعوة إلى شُرْبها، ووصفٍ لها، وتلذُذٍ بها .. ولكن لم نقرأ عن عقلاء مدحوها أو وصفوها، وإنّما هي أغنية الدهماء والسفهاء ومَنْ نزعوا عَنْ وُجوههم اللّحاءَ وغادرهم الحياءُ، من أمثال ابو نوّاس الذي قال:

ألا فاسقِني خمراً، وقُل لي: هيَ الخمرُ
ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجَهرُ
فَبُحْ باسْمِ من تهوى ، ودعني من الكُنى
فلا خيرَ في اللذّاتِ من دونها سِتْر

ولا أدلّ على غياب عقله من طلب الدواء بالدّاء (الخمرة) حين قال:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فإنّ اللّوْمَ إغْرَاءُ
ودَاوني بالّتي كانَتْ هيَ الدّاءُ
صَفراءُ لا تَنْزلُ الأحزانُ سَاحَتها
لَوْ مَسّها حَجَرٌ مَسّتْهُ سَرّاءُ

فإنْ قُدّر على الرَّجُل السُكْرَ فالسِّترُ أوْلى، لا أنْ يفتخرَ بذهاب عقله في جرأة تنزله من العلياء إلى السَفل، مثلما أنشد أبو نواس:

غَدَوتُ عَلى اللّذّاتِ مُنهَتِكُ السِتر
وَأفضَتْ بَناتُ السِرِّ مِنّي إلى الجَهرِ
وَهانَ عَلَيَّ النّاسُ فيما أُريدُهُ
بِما جِئتُ فَاستَغنَيتُ عَن طَلَبِ العُذرِ

أمّا العُقلاء فيكتبون:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دعْ النبيذَ تكُنْ عدلا وإن كثرت
فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل
كم زلّـة من كريم ظَـلَّ يسترها
من دونـها سِـتر الأبواب والكـلل

ويقولون:

أرى كل قومٍ يحفظون حريمهم
وليس لأصحاب النبيذ حـريم
إذا جئـتهم حيَّـوْك ألفاً ورحبـوا
وإن غِبْت عنهم ساعة فذمـيم

ومن أولئك العقلاء في القرن التاسع عشر، الأمريكية **سوزان أنطوني** (1820-1906)، المُلقَّبةُ بنابليون الحركة النسائية. كانت ثائرة على الأوضاع الاجتماعية السيّئة، منشغلة بإصلاح الرجال أكثر من انشغالها بتحرير النساء، انضمّت إلى جماعة الدّاعين لإلغاء الخمرة، لا منعها فحسب، حين كان شُرْب المسكرات و"الإدمان على الخمرة" منتشريْن انتشارا خطيرا، وانتسبت سوزان إلى حركة "محاربة الإدمان على الخمرة" ولم تكن تفكّر آنذاك في حقّ التّصويت للمرأة، ولا في تصويت الرجل. وفي "مؤتمر مقاومة الإدمان" سنة 1852 وقفت وطالبت بـ: "طلاق المرأة من المُدْمِن على الخمرة" و"تنظيم الأسرة لنساء المدمنين". وفي موقف يُنبئُ عن احتقار المجتمع الذكوري الأمريكي للمرأة، إذْ برئيس الجلسة يُسكتها فجأة، ويقول بفظاظة: "إنّ على النساء أنْ يصغين ويتعلّمنَ ويعملنَ فقط، ولكن يجب ألاّ يتكلّمنَ"، وعلّق أحد الصحفيين على خطابها القويّ بقوله: "لقد كان خطابا رائعا، ولكنّي أفضّل أنْ أرى زوجتي، أو ابنتي في التابوت، من أنْ أسمعها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتكلّم أمام اجتماع عام!!" فالموتُ أفضل عندهم من سماع المرأة تتكلّم في مجمع عام .. ونحن نقرأ عن وافدة النساء!!

ونذكُرُ هنا، أنّ القانون المدني في الولايات المتحدة الأمريكية، كان مثله مثل القوانين المدنيّة في كثير من العالم آنذاك؛ جعل المرأة في وضع متدنٍّ وغير مشرّف. وبحسب هذا القانون: كلّ امرأة هي قاصر، ولا يجوز لامرأة متزوجة أنْ تقاضي في المحكمة لفسخ عقد، أو للاحتفاظ بأجورها التي تكسبها من عملها، أو لحصولها على تعويض مقابل أذى أصاب به احدهم شخصها أو شخصيتها، وحتّى إذا ثبتَ بأنّ زوجها متخلّف عقليًّا، أو مدمنٌ على المسكرات، فإنّه هو الوصيّ الوحيد على الأولاد في حالة الطلاق، وكان يُسمح للزوج بضرب زوجته، وأطفاله، وكلبه، ولا يجوز للمرأة أنْ تطلّق زوجها حتّى في حالة قسوته تجاهها. باختصار كلّ امرأة أمريكية كانت أمةً .. ولم تتحرر من هذه القيود إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر، حين أُلغِيَت المعوّقات ضدّ المرأة المتزوجة، وأعطي لهنّ حق الملكية، وحقّ التصرف بما يملكن، وحقّ إقامة الدعاوى، والاحتفاظ بمكاسبهنّ من أعمالهنّ وعقد العقود وحلّها، وممارسة الوصاية على أولادهنّ، ولم يعد الزواج استعبادا للمرأة، وإنّما غدَا عقدًا بين شريكين .. والدارس لموروثنا الحضاري الأصيل يعلم جيّدا أنّ هذه الحقوق جميعها قد أُعطيت للمرأة منذَ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن!!!

وسوزان لم تكن الوحيدة في زمانها بهذا العقل والإقدام في خدمة مجتمعها، بل كانت مجموعات أخرى، منها فرانسيس فيلار (1839-1898)، التي كانت ترى أنّ المُسْكرات، والمخدّرات، ليست إلاّ شرورًا ثانوية. فجذور الشرّ أعمق من هذا، إنّها تثوي في استغلال طبقة العمال، وفي انحطاط مستواهم الاجتماعي، وعلى نساء أمريكا، وهنّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منشئات البيت الأمريكيّ، إنقاذ رجالهنّ من الأوحال، من بؤر الملذّات والحانات، وبيوت القمار، ودفعهم نحو الشمس: نحو بيوت: نحو بيوت أنظف، وقلوب أنقى، وأجور أعلى. وطالبت بالقضاء على مخازن الخمرة، والبارات، ومنح حق التصويت للنساء، والعدالة الاجتماعية للإنسان. وانتخبت لرئاسة "الاتحاد النسائي المسيحيّ لمنع المشروبات الروحية".. وبعد أن كان طموحها تخليص الولايات المتحدة الأمريكية من آفة الإدمان، امتدّ بَصَرُها إلى ما وراء الولايات المتحدة الأمريكية، وأرسلت طَلَبًا مُترجَمًا لخمسين لغة، إلى جميع الحكومات في نِصْفَي الكرة الأرضية، تطلب منع المسكرات، وتجارة المخدّرات، ورفع مستوى العُمّال، وإيجاد قانون للعدالة .. وكانت تنادي: "أيتها المرأة، لا تتامي على ما يسمّونه ضعفك، فأنتِ معطاءٌ وعطاء، كافحي من أجل الإنسان فهو أنتِ، وبثّي الحياة في كلّ ركن، فالحياة بمعناها الخَلقي العميق هو أنتِ".

العاقلات من النساء كنّ يُدركنَ أنّ الخمرة والمسكرات جميعُهَا أهمّ أسبابُ بلائها، وانتكاسة وخراب بيتها، فالسُكْرُ ذهاب للعقل وضياع للمال، ومن ورائه ضرب للمرأة وأولادها، وإهانتها واحتقارها، وسوء معيشتها وابتذالها .. فمَنْ من المنخرطات في الاتحادات والجمعيات النسوية والقائمين عليها اليوم، يرفع مطالب كتلك التي رفعتها سوزان؟؟ ليس دفاعا عن أحدٍ، ولكن دفاعًا عن: أنوثتهنّ حتّى لا تُغتصب، وإنسانيتهنّ كي لا تُعدم، وكرامتهنّ حتّى لا تُمتهن وتُجرح، وأبدانهنّ كي لا يَضرَبنَ، وأبنائهنّ فلذات أكبادهنّ كي لا يشقوا ويشقونهنّ، ووطنهنّ كي لا يُسلبَ .. أمْ أنّ خمريات اليوم، لا سوزان لها!!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أُسْرَة التفكيك

التفكيك تحوَّل مؤنثًا أو مُخَنثًا بفعل دراسات فلسفية ونقدية معاصرة إلى "التفكيكية"، المصطلح الذي ينتمي لأسرة مناهج دراسات أكاديمية في الخمسين سنة الأخيرة، لا لأنّه يرفض أنْ يبقى ذكوريا ولكن لأنّ المنتسبون المؤسسون لهذا المنهج كانوا يشكلون أسرة من بَشَرٍ غير سويّ!!! صبغوا نصوصهم بألفاظ غُرَف النوم: الجنس واللذة والمتعة والإيلاج والسائل والقذف وهتك النص، وو... وحتّى لا أنسى، فقد اتخذوا للتفكيكية مرادفا أكثر فتكا: "التقويضية".

كبيرهم الذي علّمهم التفكيكَ وأصولَه، مُنشئُ هاته الأسرة هو الفيلسوف المُفَكّكة إنسانيته "جاك دريدا"؛ فرنسي ولكنه جزائري المولد سنة 1930، وجزائري النشأة غادرها سنة 1949 ولكنه عضو في جماعة استيطانية فرنسية، وهو يهودي سفاردي لا ينتمي إلى التيار الأساسي لليهودية، وهو لا يؤمن بهذه اليهودية ولا يكن لها الاحترام ولكنه مع هذا يشير إليها دائماً وإن كان هناك دال بدون مدلول، فإن جاك دريدا الفيلسوف الفرنسي الجزائري اليهودي السفاردي هو هذه الحالة، فهو ليس فرنسياً ولا جزائرياً ولا يهودياً ولا سفاردياً، كما أن مشروعه الفلسفي مُوجَّه ضد الإنسانية، وينطلق من الإيمان بعدم وجود أصل من أي نوع، ومحاولة الوصول عالم بلا أصل رباني، بل بلا أصل على الإطلاق .. وحقيقة الأفكار التفكيكية موجودة في مدارس التفسير اليهودية .. ومِنْ قبله "رولان بارت"، الذي كان مِثْليًّا يعشق الشباب، حتّى صُبِغتْ كتاباته بحالته النفسية، ممّا جعله يتصور النص أحد الشاب الذين يعشقهم أو يعشقونه، ويقول: "إنّ النص الذي تكتبه، يتوجب عليه أن يعطيني الدليل على أنه يشتهيني. هذا الدليل موجود، إنه الكتابة، الكتابة هي شهوة و متعة اللغة". وينتمي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لهاته العائلة الفيلسوف "ميشيل فوكوه"، وهو كذلك شاذ، ساديمازوكي، حاول الانتحار عدة مرات ومات بالايدز عام 1981.

ففي جانب الأدب، يَعْتبر التفكيكيون الكذب والخيال هما اللذان يعطيانه الرونق والجمال، وأكثر من هذا، فأحدهم يقول: "ترجع أهمية الأدب في ظل التفكيكية / التقويضية إلى طاقته على توسيع حدوده بهدم أطر الواقع المتعارف عليها"، تظهر هذه الفقرة حقيقتهم، فهم يريدون هدم وتقويض الواقع الذي بنيت عليه الإنسانية؛ اجتماعيا وثقافيا .. وآخر يصف العلاقة بين النص والقارئ: "باعتبارها علاقة فاعل جنسي في مفعول به، مستخدما المصطلح الجنسي الصريح نفسه، وإن كان الرجل يقلب الأدوار مشكورا، فيجعل الكتاب مفعولا به، ويحول القارئ أو الناقد إلى فاعل. ويرى الرجل في العلاقة الأخيرة الكتابَ وقد "فتح نفسه" أمام القارئ. أما الوضع الآخر، فإن الناقد يتخذ وضع الأنثى .. وفي هذه الحالة فإن النّاقد أو القارئ السلبي "يفتح نفسه" أمام حضور فكر نشط يخترقه عنوة و"يمسك به" و"يمتلكه" و"يملؤه". إن النصوص التي تتم قراءتها اعتباطا ودون اختيار "تقذف محتوياتها" "دافئة" داخل فراغ القارئ أو الناقد»!!! فأيّة نصوص سينتجها هؤلاء الشواذ، وأيّ أدب يكتبونه؟؟ إنّه فكر التفكيكية وفلسفة التقويضية.

والقارئ لتاريخ المجتمع الأوربي بين القرنين: التاسع عشر والعشرين، يلاحظ تحوّلا رهيبا، فإلى وقت قريب كانت الأسرة مركزية في المجتمعات الأوروبية، وهي اليوم بفعل التفكيكيين، تفككتْ، لا ارتباط بين أفرادها، وتفكك الفرد ذاته وانفصل جانبه الروحي ولم يعد لصيقا بجانبه الحسّي الجسدي، وأخذت اللذة الجسدية والنزوات العاطفية مكان السمو الروحي والتواصل مع المعبود.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربّما يتعجب ويتساءل القارئ الكريم عن سبب إيراد هؤلاء الشواذ الغربيون وتلك الفلسفة المتخنثة!! والحقيقة الداعي لمثل هذا ما نراه ونحنُ نحاول المحافظة على قيمنا وصدّ الرياح العاتية، من مظاهر خطيرة تُصبّ علينا صبّا من وراء البحار عن طريق الفضاءات المفتوحة بمختلف مسمّياتها، حتّى غدت ملابس وحركات وكلمات الوسط الشباني بالخصوص، تتبؤك عن مدى التشوه الذي وصل إليه الفرد المكوّن الأول للأسرة اللبنة الأساسية لسفينة المجتمع. فإنْ لم نتبيّن حقيقة أسرة التفكيك فستغرق سفينة الوطن بكلّ مكوّناته وما فيه.

والداعي كذلك هو تلك الأرقام المخيفة التي تتداول رسميا حول الزواج، ففي نهاية شهر مارس 2015، لاحظ الديوان الوطني للإحصاء انخفاض عدد الزيجات من 387 ألف في 2013 إلى 386 ألف في 2014، والمقلق أكثر ارتفاع حالات الطلاق من 39 ألف حالة سنة 2000 إلى أكثر من 54 ألف في 2012 وقاربت رقم 58 ألفا في 2013. إنّ هذه الأرقام تؤكّد أنّ أسرة التفكيك تعمل على جميع المستويات وبكلّ الوسائل على إهدار الكرامة الإنسانية بنشر ثقافة التخنث والشذوذ وبالتضييق على السُبُل والمسالك الحقيقية التي إنْ سُلكتْ سيكون بها حلاّ جذريا للقضاء على الآفات الأخلاقية والمشاكل الاجتماعية. نجد ذلك بعيدا حين نسمع أنّ مَن يمثلن المرأة ويدّعين الدفاع عنها (المرأة التي وصلت عنوستها إلى 11 مليون فتاة) يرفضن إنشاء صندوق الزواج، ويعتبرن العزوف عن الزواج سببه أخلاقي بحْتٌ!! وبذلك يحق للعوانس إناثا وذكورا أن يتساءلن عن البرامج المسطرة لبناء وتحسين الأخلاق؟ أم أنّ تيار أسرة التفكيك أقوى من نسيم الأخلاق؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نشءُ ابن باديس .. ونشء باريس

منذ سنة كتبتُ مقال "ابن باديس بين العلم والعيد" خاطبْتُ فيه الإمام عبد الحميد قائلا: "إنّك في دنيانا مغمور، وعِلْمك فينا غير منثور، وفي جنبات جيل كامل غير محفور"، ووعدته أنْ أبذل كلّ ما أوتيتُ من جُهدٍ، وأنادي بكلّ صوتي لجعل العلم فاعلاً مرفوعًا، وقائداً متبوعًا، وصوتًا مسموعًا، وحامله مشفوعًا، على مدار الأيّام .. واليوم أبرّ بوعدي بالحديث عن "نشء ابن باديس .. ونشء باريس"

الإمام ابن باديس الصنهاجي المازيغي، حَسَم في ذكرى مائوية الاحتلال 1930 نقاط ثلاثة أساسية في حياة الأمم؛ الدِّينُ واللغة والوطن، فصرخ بصوت مدوٍّ:

شَعْبُ الجزائرِ مُسْـــلِمٌ وَإلىَ الـعُروبةِ يَنتَسِبْ
مَنْ قَـالَ حَـادَ عَنْ اصلِـهِ أوْ قَـالَ مَـاتَ فَقَدْ كَـذبْ
أوْ رَامَ إدمَـــاجًـا لَـــهُ رَامَ الـمُحَـال من الطّلَبْ

وتوجَّه إلى مَن بيده تغيير الحاضر (الواقع)، وصناعة المستقبل؛ النشء، مناديًا بكلّ ثقة ودون تردد:

يَا نَشءُ أنْتَ رَجَـاؤُنَـا وَبِـكَ الصَّبَـاحُ قَدِ اقْتَربْ

النشءُ حينها، تلقَّف الرسالة وفهم المطلوب، فشمّر على ساعدي الجِدِّ، والتفَّ حول رجالات العلم من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وانتسب إلى مدارسها، وكلُّه عزم على أنْ يكون نشءُ ابن باديس بحق؛ فرمى عن كاهليه قيود التكاسل والتواكل، وحمل بَدَلها سهام العلم، وسافر مُفترشًا المَدَر ومُتَوسّدًا الحجر، متنقلا من مدرسة إلى أخرى ومن موطن إلى موطن يملؤ جوانحه حُلُمَ حرّية وطنه، وكلّه أملٌ في الغدّ؛ أنْ يستمتع بالبلابل (النشء) تشدو لغة الضاد (اللغة العربية) غضة طرية، ويكحّل ناظِرَيْه بكُتُب العلوم يتلقفها فيستنير عقله وتسمو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

روحه، فيطير بين جنباته ينثر مداد القلم لينبت حبَّ الكلمات وتُحْصَد الجُمَل والفقرات، فيشبع الخلق بثمار العلم والمعرفة، المحلاة بالثقافة الأصيلة والقيم النبيلة.

لقد كان نشء ابن باديس - رغم كلّ العراقيل التي وضعها أبالسة نشء باريس- نبراس طريق الحريّة الذي تفجّر في الفاتح من نوفمبر 1954، بعد 23 سنة من التأسيس (جمعية العلماء المسلمين سنة 1931)؛ سنوات أمضاها ومصلحوها في إعداد الرجال والإعلام، لا في عدّ الشهور والأيام، في تصحيح سقيم الأفهام، والتدوين وبري الأقلام، لا في التلاوم والثرثرة وفُضُول الكلام، فكان النشء معلّما مقداما، ورجاله أشاوسًا كراما، وتاريخه للأمم إلهاما، وبان للعيان أنْ: نِعْم نشء باديس، وبئس نشء باريس .. وبعد 75 سنة من وفاته، ماذا بقي من صوته وندائه وذكرياته؟

من ذكرياته رسميًّا، بقي يوم وفاته (16أفريل)، فيه يحتفل برائد العلم والإصلاح، بالضرب على الطبل والنّفخ في المزمار، والضحك والتصفيق على رقص الناشئة الصغار!! ومشاهدة مسرحية غول وسرك عمّار وقصّة النُّورية والخمّار، وكلّهم في لهو وإسفرار .. أمّا تكريم العلم والعلماء فلم يوجد له زمانا ولا مكانا سوى أمتار مربّعة نُحت فوقها تمثال كبيرهم جالس على أريكة للتأمّل والعبرة والمثال!! لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم، كي لا يعلو صوته مرّة أخرى ويفضح ناشئة باريس الذين علا صوتهم وازدانت بلغة ديغول مجالسهم، وسال مدادهم وجرت أقلامهم، وطالت أفلامهم وبرزت أعلامهم، وأصبح المال مأواهم وموطنهم، وتجرّؤوا على قِيَم الآباء والشهداء، وأصبحوا من عِلِيّة القوم والوجهاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا نشء باديس اليوم، فيبدو أنهم استسلموا لدسائس نشء باريس، فلم يعد لهم صوت مسموع ولا قلم مرفوع ولا حرف مشفوع، إلاّ القليل، ومنهم المدفوع، وإذا كان البعض قد بحّ صوته، ونفذ مداد قلمه، فإنّ الغالبية منهم لم تعد صيحة ابن باديس "تحيي الجزائر والعرب" حافزا دافعا نحو الجدّ والعمل، ولم يعد تنشئة النشءِ من اهتماماته، ولا الكتابة من واجباته، ولا اقتناء الكتاب والأقلام والقراطيس من هواياته، وهم يرون المشككين في الهوية (الإسلامية العربية الجزائرية) يزدادون تقدّمًا وتغوّلاً!! .. أنَسُوا أم تناسَوْا أنّ ابن باديس كان يقضي قرابة 18 ساعة في اليوم في التعليم والتدريس تطوّعا (من أجل الأجْر لا الأُجْرة)؟!، أم لم يقرؤوا قوله: "لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالمًا إلا مَن كان متعلمًا، كما لن يَصْلُحَ معلمًا إلا مَن قد كان متعلمًا"؟؟

لقد هلك ابن باديس وبقيت مآثره حيّة في التاريخ وبعض صفحات الكتب، وما كان هذا هدفه ولا طلبه، ولكن نداؤه: خُذْ لِلحَياةِ سِلاَحَها وَخُضِ الخْطُوبَ وَلاَ تَهبْ .. فهل سيستجيب أبناء باديس، ويأخذوا العلم سلاحًا والعلماء فوانيس، أم أنّهم دون أبناء باريس؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعراء غاوون مغوون!!!

لأنّ المتربصين كثر، وحتّى لا يصدر اتّهام بتحريف آية "والشعراء يتبعهم الغاوون"، فالحديث في هذا المقال ليس عن الآية وتفسيرها، بل عن واقع شعراء نصّبوا أنفسهم وُعَّاضًا، وقد مُنحوا سحر البيان وطلاقة اللسان والاستشهاد بالحديث وآي القرآن، وُعَّاضًا ليسوا بدْعًا في تاريخ البشرية والحضارات الإنسانية بما فيها الإسلامية. فقد حدّثنا التاريخ في الإسلامي عن شعراء التكسب الذين كانوا يتقربون بمديحهم للملوك والأمراء، فهذا أبو الطيب المتنبّي يتزلف لكافور الإخشيدي ويمدحه بغية الحصول على مكانة عليّةٍ بقوله:

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيرِهِ
وَمَنْ قَصَدَ البَحرَ استَقَلّ السّوَاقِيا
فَجاءَتْ بِنَا إنْسانَ عَينِ زَمانِهِ
وَخَلّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا
إذا كَسَبَ النّاسُ المَعَالِيَ بالنّدَى
فإنّكَ تُعطي في نَداكَ المَعَالِيَا
وَغَيرُ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ
فَيَرْجعَ مَلْكاً للعِرَاقَينِ وَالِيَا
وَأنْتَ الذي تَغْشَى الأسِنّةَ أوّلاً
وَتَأنَفُ أنْ تَغْشَى الأسِنّةَ ثَانِيَا
إذا الهِنْدُ سَوّتْ بَينَ سَيفي كَرِيهَةٍ
فَسَيفُكَ في كَفٍّ تُزِيلُ التّسَاوِيَا

ولأنّ مادح الملوك اليوم من مملكة الإسلام – الوحيدة – لم يجد مناسبة سعيدة، يعبّر فيها عن مكنونه وغرامه، وخضوعه واستسلامه لخادم القِبلة المجيدة، ويقبلّه قُبْلة توكيدة، إلاّ مأساة تدمير اليمن بحجة الدفاع عن الدين والوطن، وردّ موالي عبّاد النّار والوثن منذ عشرات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرون ومن زمن، وما صلاتهم وعمائمهم اليوم إلاّ توريةٌ وغطاءً وكفن!!! .. لوْ لمْ يعشْ الواعظ العائض قرنَ مأساة بغداد وهي تُدكّ بقنابل يهوذا والصليب، ورجالها ونساءها يعاملون معاملة العبيد .. لوْ لمْ يعش مأساة لبنان، وأطنان القنابل تلقى على أهلها؛ وما كانت مطالبهم سوى التحرّر والأمان .. لوْ لمْ يشاهد النابالم والفسفور الأبيض يحرق الأخضر واليابس في غزّة هاشم، لأنّ أهلها رفضوا تسليم أولى القبلتين وثالث الحرمين، ولوْ لمْ يسمع منها صرخات الأطفال التي تحيي القلوب الموات، ونحيب الثكالى الذي يوقظ الرجولة والنخوات .. لوْ لمْ يرى النار تحرق مسلمي الهورينغا في آسيا وافريقيا الوسطى .. لوْ لمْ يحضر زمن كلّ هاته المآسي والجراحات، لاتخذ له المعاتبون عذرا أنْ ينشد العائض قصيدته "لبيك سلمان":

لبيك يا سلمان جينا اليوم لعيون الوطنْ
ابشر بعزك يا زعيم المملكه يا ابو فهدْ
حنّا جنود الله بعنا ارواحنا بأغلى ثمنْ
في جنّة الفردوس موعدنا ويا نعمَ الوعدْ
يا من نخانا في جنوب المملكه بارض اليمنْ
جتك الاسود الضاريه في مجدها أبٌّ وجدْ

كلّ ذو نخوة على أمّة الإسلام تمنّى لو أنّ العائض قال:

توقّف يا سلمان حبًّا فينا ولعيون الوطنْ
ابشر بعزّ المملكه عز الأمّة يا ابو فهدْ

يا عائض: ما أحرق نبي الرحمة عبّاد النّار (المجوس) وهم يعبدونها، فكيف تطلب من عاصفة هوجاء أنْ تحرق اذناب المجوس، كان حريّ بك أنْ تقول:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا عاصفة حزم الكرامهْ والرسالهْ والسُنَنْ
هيّا حرّروا القدس واطردوا صهيون ومن يناصرهم بعدْ
دكّوا مستوطناتهم معاقل عبّاد الشيطان والوثنْ
واقتدوا بخـــالد والمثـــنى والفحول اللّي تعدْ

يا عائض: صدقت لقد انتظرت الشعوب العربية والإسلامية عاصفة حازمة تردّ الكرامة من زمنْ، ولكن خاب أملها لمّا أصبح أمثالك يريد أن يشفي غليل قلبه بقتل الأبرياء الحفاة العراة، وتدمير مقدّراتهم وتشريدهم، وتقول:

كذا تعيش المملكهْ في نصر وأمجاد وأمَنْ
وعدّونـــا مقتـــول وإلاّ في حبالٍ من مسدْ
يا خادم البيتين شرّفتْ الوطن شام ويمنْ
حتى العرب صاحوا معك يا الفارس ابشر بالسعدْ

أيُّ نصرٍ، وأيُّ مجدٍ، سيكتبه التاريخ لمُغِير مستبيح، وشاعر غاو بتحريض ومديح؟ أيّ تشريف للشام البئيس، واليمن التعيس، بتحالف ابليس؟ أيُّ فروسية سيفتخر بها الأحفاد ويدوّنها الأمجاد؟

ياعائض: أعد قراءة شعرك، فإنّ الشعوب تقول:

يا كم صبرنا للتمادي والتخاذل والفتنْ
من صهيون ويهود وارباب العمالة والحقدْ
واليوم جا وقت القصاص وبطشنا يأتي علنْ
ما نطلب الا من اله الناس نصره والمددْ
وتعيش يا طيّار خذها بالردود ولا تهنْ
حلّق فوق فلسطين وخلّ الجو برّاق ورعدْ
واقصف سراديب العماله والخيانه والعفنْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمستوطن اليهودي خلّه يموت من الغبينه والكمدْ
الله يبيض وجه من لبّى الثكالى في غزّهْ
أبطال الشهامة، كأشاوس أوراس الجُددْ

تردّدتُ في كتابة المقال في بداية الهجوم على اليمن "عاصفة الحزم"، تريثا ربّما يصنع معجزة فتتخلص اليمن من الحوثي، ولكن استمرار القصف والدمار أطلقا قيد قلمي، القتل والدماء المسفوكة أسالت مداده .. لقد أجرم الحوثيون في حق الدّين والوطن، ولكن لا يمكن أن يكون هذا مسوغا لحرب تدرّ التوابيت وتنعش تجّار الكفن، ويُرحّل أهلها على العبّارات والسفن، ومهما اختلف اليمنيون (شيعة وسنة) فليس منهم عبّاد الوثن.

الإجرام إجرام مهما كان مصدره، لكن إجرام الشعراء الغاوون المغوون والمنشدون المزمرون، لا مبرّر له، لأنّ الأصل في الشاعر رقّة الشعور ورهافة الحسّ وإنشاد الحياة لا الممات.

يا عائض: مدح الخصال الحميدة وأصحاب الفضيلة محمود، وقد يأتي يوما ترجع فيه عن رأيك، كما رجع المتنبي عن مدح كافور إلى هجائه بأقذع الأوصاف، حين قال:

صَارَ الخَصِيّ إمَامَ الآبِقِينَ بِهَا
فالحُرّ مُسْتَعْبَدٌ وَالعَبْدُ مَعْبُودُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصرٍ عَنْ ثَعَالِبِها
فَقَدْ بَشِمْنَ وَما تَفنى العَنَاقيدُ
العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بأخٍ
لَوْ أنّهُ في ثِيَابِ الحُرّ مَوْلُودُ
لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ
إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَأنّ ذا الأسْوَدَ المَثْقُوبَ مَشْفَرُهُ
تُطيعُهُ ذي العَضَاريطُ الرّعاديد
مَنْ عَلّمَ الأسْوَدَ المَخصِيّ مكرُمَةً
أقَوْمُهُ البيضُ أمْ آبَاؤهُ
الصِّيدُ
أمْ أُذْنُهُ في يَدِ النّخّاس دامِيَةً
أمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بالفِلْسَين
مَرْدودُ
وَذاكَ أنّ الفُحُولَ البيضَ عاجِزَةٌ
عن الجَميلِ فكَيفَ الخِصْيَةُ السّودُ؟

يا عائض: إلى أن يحين ذاك الوقتُ، كم قتيل وشريد بسبب شعرك سيُحصى؟ لمَ تهيمُ في وادٍ غيرُ واديك؟ وتسود بياضك، وتكثر سوادك؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فنّ وفنون وأفنان

الفنّان، كلمة كلّما دقّت طبل أذن المستمع، استدعى الذهن صورة مغنّية أو مغني، ممثلة أو ممثل، راقصة أو راقص، ضاربة أو ضارب على العود أو القيثارة أو الطبل، أو مجسّما نحّاتا .. لأنّ لفظة الفنّان بفعل السلطة الرابعة (الإعلام) النافخة في الثقافة المكتسبة، أصبحت حكرا على هؤلاء لوحدهم!!! حتّى غدوا نجوما لامعة لا تُحصى ولا تُعدُّ، وغيابهم فراغًا غير مقبول ولا يُسدُّ.

الفنّ والفنّان وتوابعهما، تعدّدت دلالاته اللغوية والاصطلاحية، حتّى غدا كزئبق رجراج لا تجد له قالبا ثابتا، بل كلّ القوالب تقبله وتدّعيه وتدعوه أن يشرّفها؛ فهو الفنّ، بل هو أفانين وفنون؛ والفنون جنون كما قال الشاعر بعد نفاد شبابه واقتراب ذهابه وازداد من الفنّ عذابُه:

طويتُ بإحرازِ الفنونِ ونيلِها رِداءَ شبابي، والجنونُ فنُونُ
فحينَ تعاطيتُ الفنونَ وحظَّها تبيّنَ لي أنَّ الفُنونَ جـــنُونُ

إنْ كنّا سنُرجع هذا الجنون إلى سبب، فسنرجعه إلى عدم فهم الفنّ ومقاصده. فحين يتحدّث المُعقّد فرويد في القرن التاسع عشر ويعتبر" الفن نتيجة الغريزة لا العقل" ويضيف أنّه "محكوم بالحتمية لا الحرية وابتعاد عن تغير المواقع ولهذا فإن الإنسان والفنّان لا يتحكم في نتاجه بل أن نتاجه هو الذي يُسيِّره" منطلقا من كون "الإنسان طاقة غريزية وأن ثقافته تتسامى بهذه الطاقة وأنه أي إنسان يسير بعقده النفسية وعوامل الكبت .. والفنّ تعبير جبري عن الطفولة المكبوتة والهرب إلى الخيال واللعب"، وحين يدعّمه "يونك" بقوله: "إنَّ الغريزة هي المحرك الأول للفنّ"!!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحين تقرأ في معجم أكسفورد أنّ الفنّان "ذلك الشخص الذي يمارس عملًا لا غاية له سوى إثارة اللذة أو انتزاع الإعجاب، أو ذلك الرجل الذي يمارس أحد الفنون الجميلة" وحين يقرّر كروتشه "أنّ الفن للفن لا يعني سوى استقلال الفن عن كل من العلم والمنفعة والأخلاق. والفنان - في رأيه - لا يمكن أن يكون عبدًا للأخلاق أو خادمًا للسياسة أو ترجمانًا للعلم"، وحين يُختزل الفنّ في كونه "جملةُ الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال، كالتصوير والموسيقى والشعر" .. أكيد أنّ الفنون ستكون جنون لغياب العقل عنها والجري وراء المتعة واللذّة.

لماذا يغيب الفنّ بمفهومه الإنساني الايجابي الذي يسمو برسالته ويرفع القيم الأخلاقية، كما عرّفه الفرنسي رودان بقوله: "هو أسمى رسالة للإنسان لأنه مظهر لنشاط الفكر الذي يحاول أن يتفهم العالم وأن يعيننا بدورنا على أن نفهمه الأخلاقي" ويعتبر "أنّ الفن هو التأمل، هو متعة العقل الذي ينفذ إلى صميم الطبيعة.. هو فرحة الذكاء البشري حين ينفذ بأبصاره إلى أعماق الكون". أو كما رآه محمد قطب في كتابه "منهج الفن الإسلامي" مصحّحًا التصوّر حول الفن الإسلامي "ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام .. إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. وهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان .. هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال و الحق. فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود".

لقد حاول كثر، ونجحوا إلى حدّ كبير في إبعاد الفن والأخلاق، إلى حدّ اعتبار الأكثر فنًّا الأكثر بُعدًا عن الأخلاق، كما يقول "برتليمي": تتمتع اللاأخلاقية الجمالية في أيامنا هذه بإقبال شديد، ولقد كان هذا أثرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أسوأ الآثار التي تركتها نظرية الفن للفن، ما دامت تعتبر احتقار الناحية الأخلاقية علامة من علامات العبقرية".

لماذا يُلتفت إلى صنوف الفنّانين والفنون الغرائزية الأداتية (الرَّقص والدِّراما والموسيقى تؤدَّى أمام الجمهور) وفنّ النحت (صنع التماثيل والتصاميم كنحت الرخام أو تشكيل الصلصال أو صب المعدن في قالب)، وتُهمل الفنون العقلية التي تؤدي خدمة للمجتمع وتنحت القِيَم في نفوس الناشئة؟ ولماذا يُهمل الفنان الذي يبدع في الفنون العقلية الإنسانية من تاريخ وفلسفة واجتماع وأدب ووو...

إنّ هذا الإهمال هو الذي جرّأ الجهل على العلم قائلا: "حرفة الأدب بئس الاحتراف، وهي لعمر أبيك حرفة عن الخير أيّ انحراف .. حتّى صار حال الأديب مثلاً في الضعف والضيق، وقول العاملي في وصف نساء هواه به حقيق:

أضْيقُ من عيشِ الأديب ثغرُها
أضعفُ من حالِ الأريبِ خصْرُها"

إنّ للعلوم عامة، وللغة العربية وبلاغتها فنونا وأفنانا، حريّ أن يعرفها كلّ فنّانة وفنّانا، لأنّ الأمم القوية قويّة بلغاتها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستة أيام في 1967

انتكاسة عسكرية .. نكبة تاريخية .. هزيمة فكرية

كلّ سنة تمرّ، إلاّ ويُعَاوَدَ الحديث عمّا سُمِّي "نكسة 1967"، أو حرب الأيام الستّةِ (من 05 إلى 10 جوان) التي حدثت بين إسرائيل وكلّ من مصر وسوريا والأردن وبمساعدة لوجستية من لبنان والعراق والجزائر والسعودية والكويت انتهت بانتصار إسرائيل واستيلائها على قطاع غزة و الضفة الغربية و سيناء و هضبة الجولان .. وربّما لا يثير هذا الأمر فضول المواطن العربي للتساؤل عن حقيقة تلك المَشَاهِد والصُّور الحيّة وكأنّها فلم خيالٍ، أو كأنّها لحظة عادية (معركة من المعارك) في تاريخ الأمّة منذ سنوات طوالٍ، ولكن في لحظة وعي بخطورة ما جرى وبأهميّة القراءة المتفحصّة والكتابة المسؤولة أمام التاريخ يبدو الأمر مغايرا تماما .. إنّها تظهر بكلّ وضوح أنّ تلك الأيام لم تكن نكسة، ولكن كانت: انتكاسة عسكرية، ونكبة تاريخية، وهزيمة فكرية.

إنّ المُشاهد للطائرات الإسرائيلية وهي تَسبَحُ على عُلُوٍ منخفض في أجواء البرّ والبحر المصريّة، دون أنْ تُطلق عليها قذيفة أو رصاصة، وشاهدها وهي تدكّ مدارج المطارات والطائرات الرابضات، يَدْهَل للسكون وعدم الحراك وكأنّه جسد أموات!!! ويزداد ذهولا عندما يشاهد الدبابات والمدرّعات تُقْصَف، وجنود اليهود تتقدَّمْ، وآليتهم على أرض سيناء تتمدَّدْ، وخير أجناد الأرض (جُندُ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر) تتقهقر، وفي ذهول من حالهم وهو الجيش الذي لا يُقهر!!!. يكاد ينهار ويُصاب بالجنون على آلاف الجنود والضباط الذين أُعطِي لهم الأمر بالتراجع دون قتال ووقعوا في قبضة جنود صهيون، وهم يمشون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حفاة أيديهم على رؤوسهم، تلفح وجوهم الرّيح، ويتلقون الضرب وكلّ لفظ قبيح، ثمّ يُرمون بالرصاص لكي العدوّ منهم يستريح!!!، ليُعلِن زعيم القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر نفسه في النهاية، أنّ مصر خسرت في هذه الحرب 80% من سلاحها، و10.000 جندي و1500 ضابط، وأُسر 5000 جندي و500 ضابط لم يعد أكثرهم. وأرقام أخرى تتحدث عن ثلاثة أضعاف هذه الأرقام، إضافة إلى مقتل 2500 جندي سوري و700 جندي أردني، مقابل مقتل 480 إسرائيلي على الجبهة الأردنية، و238 على الجبهة المصرية، و141 على الجبهة السورية أيْ ما مجموعه: 859 جندي إسرائيلي!!!. لستُ عسكريا حتّى أحلّل المشاهد الحربية ولكن الواضح على الأقل على الجبهة المصرية أنّه لم تكن حربا كاملة تلاحمت فيها الجيوش وأثبت كلّ طرف فيها قوّته، وإنّما كانت انتكاسة عسكرية، لا يتحمل الضابط والجندي في الميدان المسؤولية عنها، بل هو ضحيّة رأي سقيم وتخطيط عقيم واستهتار قائد وزعيم. والانتكاسة معناها معاودة الحالة المرضية بعد ظهور بوادر العافية، وكانت انتكاسة 1967 لأنّ الجيوش العربية تعوّدت الخسارة الميدانية (حربي 1948 و 1956) والعلّة لم تفارقها.

إذا كان الأمر في ظاهره يتعلق بانتكاسة عسكرية، ففي الأبعاد الحضارية هو نكبة تاريخية ألمّت بالأمّة عامة وبالمنطقة خاصة وبالقدس وفلسطين بصفة أخصّ دفع فيها الفلسطينيون ضريبة كبيرة بعد تلك التي دفعوها سنة 1948 بالتقتيل والتهجير والتدمير المُمَنهج للقرى والبيّارات، لقد ضاعت ما تبقى من فلسطين (6241 كم2) الضفة الغربية بما فيه قبلة المسلمين الأولى القدس الشريف والحرم الإبراهيمي وغزّة هاشم، كما ضاعت من مصر سيناء (61.948 كم2)، ومن سوريا هضبة الجولان (1.158 كم2) ذات الموقع الاستراتيجي، فقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استولى اليهود على مساحة شاسعة ما مجموعه (69.347 كلم2)، وإذا قارناها بما استولت عليه عام 1948 وأقامت عليه دولتها (20.700 كلم2) يتضح أن النكبة أضافت لإسرائيل ما يعادل ثلاثة أضعاف ونصف من مساحتها التي كانت عليها قبل ذلك. هذه المساحة الشاسعة والخسائر البشرية والمادية الفادحة، في ستة أيام كانت حُسوما!!! أليْسَت نكبة؟ والنّكبة تعني مصيبة مؤلمة توجِع الإنسانَ بما يعزُّ عليه من مالٍ أو حميمٍ، وأيّ مال أغلى من الأرض وقد أصبحت تلك المساحات الشاسعة ملك يمين اليهود؟ وأيّ حَمِيم أقرب من الأهل والعرض، وقد أصبح أزيد من خمسة ملايين فلسطيني فوق أرضهم تحت سلطة اليهود؟

لو تأملنا هذا المشهد المؤلم من زاوية أخرى، وغُصْنا في أعماق الأسباب التي أدّت إلى هذا الوضع الكارثي (الانتكاسة العسكرية، والنكبة التاريخية) فسنكتشف أنّها هزيمة فكرية .. لقد تغنّى العرب بفكرة القومية العربية وطبّلوا وزمّروا لها وجعلوا الشعوب ترقص على أنغامها، تحت مسمّى "التخلص من الاستعمار التركي" في بادئ الأمر، وكان الانجليز الدّاعم الأساسي لهذه الفكرة، وفعلا قامت ما اصطلح عليه "بالثورة العربية" ضدّ الخلافة الإسلامية التي كان يحمل لواءها العثمانيون الأتراك؛ وبغض النظر عن أخطاء العثمانيين، فإنّهم لم يَدْعوا إلى قومية تركية أو كردية أو غيرها. أمّا العرب وفي لحظة جهل وغفلة أو نكايةٍ أو عمالةٍ، رفعوا لواء القومية العربية على رقعة جغرافية واسعة، نَحَت فيها الموروث الإسلامي بكلّ مميّزاته أخاديد لا يمكن ردْمها، ففي هذه الرقعة الجغرافية اختلط نسَبًا ومصاهرةً وموطنًا، العربي والفارسي والتركي والكردي والسلجاقي والقبائلي والقبطي والعديد من الأقليات التي ذابت قومياتها الأصلية في إناء ماء الإسلام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصافي .. فكرة القومية المبنية على "عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة ، وجغرافية مشتركة ، وتاريخ مشترك، ومصير مشترك، ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة ، وثقافة نفسية مشتركة" يعني تفكيك التركيبة التاريخية الموروثة، وتدمير الرابط الأهم والأساس الذي بُنيت عليه؛ وهو الدّين.

وفي منتصف القرن العشرين وخاصة بعد نجاح ثورة الضباط الأحرار بالتعاون مع الإخوان المسلمين في مصر ضد المَلَكِيَة، تحوّلت القومية العربية إلى حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، لتكون بذلك صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا. لقد انهزمتْ هذه الفكرة لأنّ العرب بقوميتهم الجديدة لم يستطيعوا أنْ يجمعوا أنفسهم حول رؤية فكرية أو منهج سياسي واحد وموحّد، بل تشرذموا بين الشرق والغرب، بين المنهج الاشتراكي الذي بناه الفكر الشيوعي من جهة والفكر الرأسمالي الليبرالي الذي أسس له الاستعمار النصراني من جهة أخرى. وبنوا بخطاباتهم الأوهام، وكلّ زعيم عرض نفسه على أنّه هو البطل الهُمام، وأنّه هو مُخَلِّص الأمّة من العملاء والأزلام.

لقد كانت الهزيمة الفكرية بادية في انتكاسة الستة أيّام؛ أولا، بالثقة في الاتحاد السوفياتي وهو نسيج غير متجانس من قوميات متعدّدة ليس منها واحدة عربية، والأخذ بنصيحة الولايات المتحدة الأمريكية حاضنة إسرائيل وداعمتها الأبدية لمصر بتحمّل الضربة العسكرية الأولى (التي كانت قاصمة للظهر) من إسرائيل ثمّ الردّ بعد ذلك، في حين ساد جو عدم الثقة والتشكك والارتياب في وسط القيادات القومية العربية، على الرغم أنّ الملك حسين أعطى قيادة الجيش الأردني إلى ضابط مصري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اختاره جمال عبد الناصر، فهناك كلام كثير يُثارَ حول الخيانة الأردنية حينها ولا يُعلم مقدار صحّتها. ثانيا لأنّ الفكرة القومية لم تستطع استيعاب أبناء الوطن الواحد واللغة والدين المشترك، لمجرد اختلاف في الرُؤي لكيفية بناء الوطن والنهضة بالأمّة؛ فقد أقدم زعيم القومية العربية جمال عبد النّاصر سنة 1954 على الانقلاب على الرئيس محمد نجيب وأعدم وسجن المئات من الطاقات المصرية؛ علماء ومفكرون وقضاة وعسكريون، وشباب يتدفق بروح وطنية عالية لو وظّفها ايجابيا لكانت دعما قويّا له وللأمّة، كان آخرهم المفكر والأديب سيد قطب الذي أعدمه سنة 1965رغم الوساطات العربية والإسلامية.

كانت هزيمة فكرية لأنّ ما كان يسمع آنذاك من خطابات رنّانة وهتافات زنّانة، تمجّد الزعامات وتُعَدِّد الانجازات، بان زيفها وكذبها، وما صوت القاهرة وصوت العرب إلاّ أبواقا للتعمية عن حقيقة الواقع المتردّي والمزري وتكريسا لأوهام دعاة القومية العربية، فقد خرجت الجماهير العربية بعد سماعه عبر موجات الإذاعة المصرية انتصارات الجيوش العربية مبتهجة ومهلّلة بالزعيم الأوحد، لتكتشف بعد يومين الانتكاسة العسكرية والنكبة التاريخية، ويتيقن الواعون أنّ ما وقع هو هزيمة فكرية .. ورغم ذلك وبعد خروج جمال عبد الناصر واعترافه بالعار الذي تسبّب فيه وتحمَّل مسؤوليته وقدّم استقالته، فقد بدت مشاهد جماهيرية تسير أمام القصر الرئاسي تطالبه بالبقاء في منصبه، فلا طاقة لهم على العيش بدونه!!! .. والسؤال المطروح لمصلحة مَنْ يكذب الصحفيون والإعلاميون على الشعب العربي ويقلبون لهم الحقائق ويجعلونهم يعيشون الأحلام ويحصدون الأوهام؟ لمصلحة وطن أم لمصلحة وثن؟ أمام هذه الفاجعة هل فعلا أنّ الجماهير كانت تعبد زعيمها الخالد كما عبدت بنو إسرائيل فرعون، أم هي مشاهد تمثيلية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مركّبة، كما ركّبها شاهين في يوليو 2013 للانقلاب على الرئيس محمد مرسي؟

إنّ العرب لم يكتب لهم التاريخ دولةً قوميةً ولا حضارةً إنسانية، بل كانوا قبائل تتقاتل من أجل غلَبَة في سباقٍ، أو رَعْيِ نياقٍ، ولسنوات تُضْرب فيها الأعناق وتُقطع الأرزاق، إلى أنْ جاء الإسلام فوحّدهم، ورفع لهم الشأن، فأنشئوا حضارة إنسانية ذابت فيها كلّ قومية عرقية أو لغوية والتَحمَ الكلّ التحامًا لم تشهد له البشرية إلى اليوم مثيلا .. واليوم برغم مرور سنوات على الانتكاسات والنكبات والهزائم، لا يزال البعض المُتحكِّم وكثير من المتحكَّم فيهم مُصرّا على تفكيك البنية التي أسَّستْ للعرب حضارتهم الشاهدة والمشهود لها في محاولة بائسة يائسة من أجل صناعة جبل أمجاد ولو من ثلجٍ سرعان ما يذوب في أول اشراقة شمس عليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهرس

مقدمة 1

أبو حامد-أبو القاسم .. رحلة العلم والتميّز 3

ابن باديس بين العلم والعيد 7

الشيخ محمّد الغزالي في ذكراه 10

القراءة .. القراءة !! 13

مملكة النمل .. والكذب 16

كي- ري .. (qui ri) 19

وقفة بين العامِل والعالِم 23

رؤيا منام وأحلام 26

طُلاَّب بلا ذاكرة 29

باربي في الزقاق 32

أرزائيات 35

الجلد المنفوخ والعقل المطبوخ 38

من الشمال القسنطيني إلى الجنوب الفلسطيني 41

نجاح الفشل 48

عقدة عباس من المقاومة وحماس 51

حضارة تُهدم 56

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا: هدم التعليم 56
ثانيا: هدم الأسرة 59
ثالثا: إسقاط القدوات 62
سنة هجرية مَضت .. وعام هجري مُرتقب 66
نوفمبر الثورة 69
أولا: بيان البيان 69
ثانيا: بيان أهداف البيان 71
عبور النفق بين 05 جويلية (1830-1962) 75
امرأة العيد 79
خمريات .. لاَ سُوزَانَ لها!!! 82
أُسْرَة التفكيك 86
نشءُ ابن باديس .. ونشء باريس 89
شعراء غاوون مغوون!!! 92
فنّ وفنون وأفنان 97
ستة أيام في 1967 100
انتكاسة عسكرية .. نكبة تاريخية .. هزيمة فكرية 100
الفهرس 106

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا الكتاب

أزيد من ثلاثين مقالا، يسجل جزءا من رحلة الكتابة الأسبوعية في جريدة الجديد اليومي من سنة 2014 إلى غاية منتصف 2018 . حوت المقالات نقدا لجوانب عدّة أدبية وثقافية واجتماعية وسياسية، وتجتمع كلّها في الأسلوب الأدبي الذي صيغت به "المَقامة" ولهذا عنونتُه بـ: مقالات في مقامات لتكتسي المقالات المكتوبة ثوب المقامات المدبجة بالسجع والجناس، التورية والطباق، التضمين والاقتباس، مرة بالأسلوب الخبري وأخرى بالإنشائي، مع وضع الايجاز والاطناب كل في مكانه حسب ما يقتضيه الحال والمقال. والمهم أن أذكرَ أنّ أوّل مقال كتبته ونُشر لي هو "أبو حامد-أبو القاسم .. رحلة العلم والتميّز". وأذكر جيّدا كم من العَبَرات التي غلبتني وساحت على خدّيْيَ ثم ارتمتْ على الورقة، وكأنها تبكي أبا القاسم سعد الله.

ISBN: 978-9969-608-75-5

9 789969 608755

سامي للطباعة والنشر والتوزيع

سامي
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة الملصقات والمطويات
كتب ومجلات
جميع المطبوعات المكتبية
RC n° : 39/00/2731272/A/08 MF n° : 197839010249227 NIS n° : 197839010249227 AI n° : 39010104984
CB n° : 002000949409462475 19 BEA EL-OUED

شهادة طبع ونشر

يشهد مدير مطبعة سامي للطباعة والنشر بالوادي بطبع كتاب بـالمواصفات التالية:

عنوان الكتاب: أدب الناقد مقالات في مقامات.

عدد الصفحات: 112.

حجم الكتاب: 16*24 سم.

الإيداع القانوني: ديسمبر 2025

ردمك: 978-9969-608-75-5

اسم المؤلف: د. منصف دقاشي.

سلمت له هذه الشهادة لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

الوادي في: 28-12-2025

الختم والإمضاء

العنوان : حي السروطي . ولاية الوادي
imprimerierimel39@gmail.com الفاكس : 032 14 93 39 الهاتف : 0668 00 59 70